

التَّشْكِيكُ فِي الدِّينِ

فِي

رَوَايَاتِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ وَنَظَائِرِهِ



إِيْمَانِ سَيِّدِ الْبَهْمَنَسَاوِيِّ

مكتبة المنار الإسلامية - الكويت

هذا الكتاب

* إن مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان لا تعنى أن ينشر الإنسان ما يشاء، فالحرية لها ضوابط وحدود فى كل دولة ومجتمع تنظمها القوانين. وهذا ما يسمى بالنظام العام .

* ويعد أن أفلس أدعياء حرية الرأى من الكتاب الذين طعنوا فى العقائد الإسلامية ، وفى الأخلاق الإسلامية باسم الحرية والإبداع ، ترسل الكاتبة نداء لهذه الأقلام أن تعدل عن هذا الموقف القبيح ، وتصحح هذه الترهات ، وتستغفر الله عن هذه الآثام .

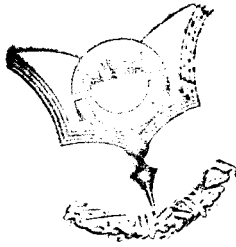
* والكتاب محاولة جادة لقراءة هذه الروايات ، لكشف اللثام عن السم الزعاف الذى سطرته أقلام بعض الكتاب أمثال نجيب محفوظ ونظرائه بفرض الشكيك فى الدين ، وهدم العقيدة من خلال رواياتهم والتى - للأسف - نال بعضها الجوائز العالمية .

المؤلف

مكتبة المنار للإعلام

للطباعة والنشر والتوزيع





٢ ٢ ٢٣



کتابخانه مجلس شورای اسلامی

التَّشْكِيكُ فِي اللَّيْلِ

فِي

رَوَايَاتِ نَجِيبٍ مَحْفُوظَةٍ وَنَظَائِرِهِ

٢١٤١٧

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

التَّشْكِيكُ فِي الدِّينِ

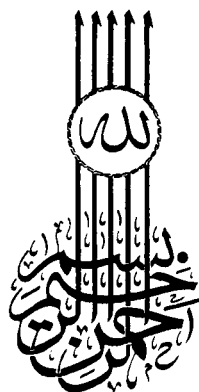
فِي

رَوَايَاتِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ وَنَظَائِرِهِ

إِيْمَانٌ سَالِمٌ الْبَهْنَسَاوِيَّ

تَقْدِيمُ

الْمُسْتَشَارِ السَّالِمِ الْبَهْنَسَاوِيَّ



تقديم

بقلم / المستشار سالم البهنساوى

فى عام ١٩٦٤م أبرم الرئيس المصرى جمال عبد الناصر اتفاقاً مع الحزب الشيوعى المصرى الذى اتخذ اسماً حركياً له هو (حدتو) ، وتضمن الاتفاق أن يخرجوا من السجون والمعتقلات ، وأن يتم تعويضهم مع التمكين لهم فى وسائل الإعلام بشروط هى :

- ١ - أن يكون -جمال- عبد الناصر هو الرمز المكافح وليس لينين .
- ٢ - أن تكون مصر هى الأم لهم وليست روسيا .
- ٣ - أن يحل الحزب الشيوعى نفسه وتنظيماته ، وينخرط فى الاتحاد الاشتراكى .

وقد أشار إلى ذلك أحد هؤلاء ، وهو الأستاذ غالى شكرى فى كتابه (الأرشيف السرى للثقافة المصرية) ، صدر عن دار الطليعة فى بيروت فى مايو عام ١٩٧٥م ، حيث ورد فى ص ٨٧ : أنه قد خرج اليساريون من السجون فى أبريل ومايو عام ١٩٦٧م ، وبدأ الكتّاب منهم يعودون للعمل فى الصحافة ، ومن لم يكن مقيداً منهم فى إحدى الصحف كان يُبحث له عن عمل ، وكان الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة - بموجب التعليمات الصادرة إليه - يستقبلهم بالترحاب الشديد ويفتح لهم قلبه ، مشيراً بيده إلى مؤلفات ماركس ولينين بجانبه .

وقد كان من آثار هذا نشر الكثير من المقالات الصحفية والكتب والروايات التى تشكك فى الدين ؛ بعضها كان واضحاً ، وبعضها استخدم

الرمز والأسئلة التي تحقق هذا الهدف وهو التشكيك فى الدين والمتدينين .

ولقد تطوعت ابنتى إيمان أن تكشف هذا التشكيك بأن تخاطب أصحابه للعدول عن هذا الموقف وتصحيح ما ورد عنهم ، وعلى الرغم من أنها كانت متخصصة فى أدب الأطفال وقصص الأطفال ، وإلا أنها كما هو واضح مما كتبه كانت متمكنة من كشف هذه المغالطات والرد عليها بإيجاز، وقد انتقلت إلى رحمة ربها فى ٢٧ شعبان ١٤١٨ هـ الموافق ٢٧ / ١٢ / ١٩٩٧ م قبل أن تكمل هذه الرسالة وكان عمرها ثلاثين عاما .

وحيث إن ما تركته لم ينشر له مثيل من قبل ، فقد رأيت نشره تحقيقا لرغبتها فى التنبيه على ما ورد فى هذه الكتب والروايات ، وتوجيه أصحابها إلى العدول عن هذا الاتجاه الخاطئ .

لقد كان مما تركته التعليق على روايات نجيب محفوظ وبيان ما تضمنته من التشكيك فى الدين ، كما تركت نماذج من أدب يوسف إدريس الذى تضمن الاستهزاء والسخرية بالإسلام ونشر الإباحية .

كما كشفت ما كتبه أسامة أنور عكاشة فى مسلسل ليالى الحلمية ، ونبهت إلى ما ورد به من مغالطات تتعلق بالدين والمتدينين والتاريخ المعاصر .

ولقد حرصت الكاتبة أن تنقل نص أقوال هؤلاء التى تضمنت التشكيك فى الدين أو تضمنت المغالطات فى حق الإسلام والمسلمين ، ثم تعلق بإيجاز لتصحيح ما يمكن أن يكون غامضاً عن بعض القراء .

وحرصت أن تبين أن هؤلاء الكتاب وإن أوردوا التشكيك على لسان بعض الشخصيات الوهمية التى اختاروها ، إلا أنهم أفصحوا عن إيمانهم

بما أوردوه على لسان هذه الشخصيات كما هو واضح فى سكرية نجيب محفوظ ، فضلا عن إيراد الكاتب أسئلة تشكك فى وجود الله ، ثم لا يكتب الرد عليها ليؤكد هذا التشكيك كما هو واضح فى حكايات حارتنا وبقاى الروايات .

والجدير بالذكر أن رواية أولاد حارتنا ، والتى نشرها نجيب محفوظ عام ١٩٥٩ م ، قد اعترض عليها الأزهر ؛ لأنها ترمز إلى الأديان السماوية الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، وترغم فشلهم فى هداية البشرية حتى جاء العلم ليحل محل الأنبياء والديانات التى صنعت فكرة اسمها الله .

ولهذا وافق جمال عبد الناصر على مصادرتها ، وظلت كذلك حتى ارتفعت بعض الأصوات اليسارية بإعادة نشرها ، فلم يوافق على ذلك مجلس الوزراء المصرى ، لكن مجلة روز اليوسف أعلنت أنها تنشر الكتب المنوعة ، وبدأت بنشرها حتى أن بعض رجال القانون من الإسلاميين ظنوا أنه يمكن نشرها ؛ لأن نجيب محفوظ قد أعلن أنه يؤمن بالله وعدل عن هذا الفكر الشيوعى ، غير أن الدكتور جورج طرابيش - كما ورد فى كتاب الطريق إلى نوبل ص ١٤ ، ١٥ - قد أوضح أن العلم عند نجيب محفوظ هو دين العصور الحديثة ، وأن روايته (حكاية بلا بداية ولا نهاية) هى الامتداد الطبيعى لقصة أولاد حارتنا ، فالأنبياء فيها ليسوا رسل الله ، بل أنبياء عصر العلم ، خلفاء عرفة ويمثلون فى القصة كل من كوبرنيكس ، ودارون ، وفرويد ، لهذا اختارت لجنة نوبل أولاد حارتنا وثرثرة فوق النيل لمنح نجيب محفوظ جائزة نوبل لعام ١٩٨٨ م .

لقد كتب نجيب محفوظ فى السكرية أن « الشيوعية علم ، أما الدين

فأسطورة « ص ١٥٢ ، لهذا لا يكفى التصريحات الصحفية منه بالإيمان بالله ، لهذا طالبتة الكاتبه أن يصدر كتابا يصحح فيه هذه المغالطات والتي امتلأت بها رواياته .

وأخيراً نود أن يدرك ذلك من تحمسوا لإعادة نشر هذه الروايات ممن هم فى الحكومه أو خارجها ، وبالله وحده نعتصم ونتأيد .

٢٢ / ٥ / ١٤٢٣ هـ

١ / ٨ / ٢٠٠٢ م

سالم البهناوى

أولا

التشكيك في الدين

في روايات نجيب محفوظ

الأباطيل فى سكرية نجيب محفوظ

بعد أن قرأت فى الصحف عدة مقالات عن الكاتب الكبير نجيب محفوظ خامرنى شعور خاطئ بتخلفى عن ركب العالمية؛ لأننى لم أكن قد قرأت بعد أيًا من مؤلفات هذا الكاتب العالمى ، وبدأت بقراءة « الثلاثية » وتساءلت عن الهدف من وراء كتابة تلك الرواية التى تقع فى ثلاثة أجزاء، خاصة بعدما قرأت ماجاء على لسان « سوسن » إحدى شخصيات الجزء الثالث ،والتى تقول :

« ينبغي أن تكون الكتابة وسيلة محددة الهدف . . . » (السكرية ص ٢٠٩ ، ٢١٠)، إذًا فكاتبنا ممن يؤمنون بأنه يجب أن يكون هناك هدف وراء كل شكل من أشكال الكتابة، سواء كان قصة أم مسرحية أم شعر أم مقالة . ومن المؤسف حقاً ألا يجنى القارئ هدفاً من وراء تلك الرواية سوى التشكيك فى الدين ، والقول بأن الدين أسطورة ، حيث كتب المؤلف على لسان إحدى الشخصيات قائلاً :

« الشيوعية علم أما الدين فأسطورة » (السكرية ص ١٥٢) ، والقول بأن الدين خرافة حيث جاء فى (الصفحة ٢٩٦ من السكرية) ما يلى :

« عرفت بالتجربة أنه ليس من العسير إقناع المثقفين بأن الدين خرافة وأن الغيبيات تخدير وتضليل » ، وكذلك القول بأن الدين قديم ويورث ، حيث يقول بالحرف الواحد : « الزواج والدفن على سنن ديننا القديم أما الحياة فعلى دين ماركس » (السكرية ص ٢٧١)، وكتب أيضاً: « ولكن أعلم أيضاً أن الأمويين قد ورثوا الإسلام وهم لا يؤمنون به ، ومع ذلك فهم

الذين نشره فى بقاء العالم القديم حتى أسبانيا !» (السكزية ص ٢٩٧).
فالإسلام فى نظر الكاتب دين قديم لا يصلح للعصر الحديث والحياة
المتجددة والمتغيرة ، وإن كتب ذلك على لسان بعض الشخصيات ؛ لأنه لم
يذكر ما ينفى هذه الأقوال ، فقد قال ما نصه :

« بل قل بقاء عقيدة أكثر من ألف سنة آية لا على قوتها ، ولكن
على خطة بعض بنى الإنسان، ذلك ضد معنى الحياة المتجددة ، ما يصلح
لى وأنا طفل يجب أن أغيره وأنا رجل ، طالما كان الإنسان عبداً للطبيعة
والإنسان ، وهو يقاوم عبودية الطبيعة بالعلم والاختراع ، كما يقاوم
عبودية الإنسان بالمذاهب التقدمية ، ما عدا ذلك فهو نوع من الفرامل
المضاغطة على عجلة الإنسانية الحرة ! » (السكزية ص ١٣٥) .

وليس ذلك فحسب، بل إن الإسلاميين المتمسكين بدينهم قد اعتبرهم
الكاتب رجعيين، والعلم كفيل بطردهم ، حيث كتب ما نصه : « ألا ترى
أنهم يخاطبون العقول بلغتنا فيقولون : اشتراكية الإسلام ؟ فحتى إلى
الرجعيون لم يجدوا بداً من استعارة اصطلاحاتنا ، وهم ولو سبقونا إلى
الانقلاب فسوف يحققون بعض مبادئنا ولو تحقيقاً جزئياً ، ولكنهم لن
يوقفوا حركة الزمن المتقدمة إلى هدفها المحتوم ، ثم إن نشر العلم كفيل
بطردهم كما يطرد النور الخفافيش » (السكزية ص ٢٩٧) .

وقد أفصح الكاتب عن مبادئهم هذه بأنها الشيوعية حسبما أوردته من
قبل، وقد نسى الكاتب الكبير أن العلم يقضى إلى الإيمان بالله، وأن الدين
الإسلامى يدعو إلى العلم، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
[فاطر : ٢٨] وأنه لا تعارض فى الإسلام بين الدين والعلم وأن ماركس لم
يطلع على الدين الإسلامى ، وإنما يتكلم عن دين أوربا التى عاش فيها .

ومما يؤسف له أيضاً أن نجد الكاتب يستهزئ بالحديث النبوى والقرآن، حيث كتب : « والخمَّار للخمَّار كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (السكرية ص ٢٨٦) ، وهذا استهزاء بالحديث النبوى « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وطعنا فى قول الله عن المؤمنين ﴿ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُومٌ ﴾ [الصف : ٤] ، بل قد وصل الأمر إلى الاستهزاء بشخص الرسول محمد ﷺ فى الحوار الذى كتبه على لسان أحمد وسوسن ، ونصه (كما جاء فى الصفحة ٦٤ من السكرية) :

« ألم تسمعى عن النبى الذى كان يجاهد ليل نهار دون أن يمنعه من أن يتزوج تسعاً ؟

- ففرقت بأصابعها هاتفة :

- هاهو أخوك قد أعارك فاه ، أى نبى يا هذا ؟ فقال ضاحكاً :

- نبى المسلمين !

- دعى أحدثك عن كارل ماركس الذى عكف على تأليف « رأس المال » تاركاً زوجته وأولاده للجوع والبهدة ! » .

قد يتعلل البعض بالقول بأن هذا ليس بالضرورة هو رأى الكاتب ، فالكاتب إنما يعبر عن رأى بعض شخصياته والتى منها المنحرف والسوى والملحد والمتدين .

ولكن المعن فى قراءة تلك الرواية يلحظ أن الكاتب يسهب فى عرض وجهة نظر تلك الشخصيات الهدامة ، أما الشخصية الإسلامية الملتزمة بتعاليم دينها فنجدها انهزامية فى أى حوار يدور بينها وبين الشخصيات الأخرى الملحدة ، بل إننا نجد أن تلك الشخصية الإسلامية عاجزة عن الدفاع عن عقيدتها وعاجزة عن دحض تلك الأباطيل

والافتراءات على الدين ، فهي شخصية سلبية وليس لديها القدرة على التعبير عن وجهة نظرها بطريقة واضحة أمام القارئ ، وكلنا يعرف أن الذى يتقمص الشخصيات هو الكاتب نجيب محفوظ فيصبح هذا هو هدفه من الكتابة فعلى سبيل المثال : فى حوار بين أحمد - والذى يمثل الشخصية الملحدة - وعبد المنعم - الذى يمثل الشخصية الإسلامية الوحيدة فى القصة - يجيب عبد المنعم رداً على أخيه أحمد : « أنتم لا تعرفون دينكم هذه هى المأساة ! » (السكرية ص ١٣٤) .

ولم يثبت نجيب محفوظ رداً على لسان هذا المسلم ، بينما يسهب فى إثبات أقوال الملحد والشيوعى ، وإذا قلنا بأن الكاتب هنا ما هو إلا مرآة تعكس أفكار ومعتقدات شخصياته أجيب بأنه على الكاتب فى هذه الحالة أن يتمتع بروح الأمانة فى عكس تلك الآراء والمعتقدات ؛ بأن يعطى الفرص بالتكافؤ بين جميع الشخصيات لتعرض وجهة نظرها بوضوح وتدافع عن مبادئها ، وهذا لم يفعله بالنسبة للإسلام والمسلمين .

ويأبى الكاتب نجيب محفوظ إلا أن يتحفنا ببعض المعلومات الفقهية الخاطئة عن تعاليم ديننا الإسلامى ، فيقول فى (السكرية صفحة ٢٠٠) : « حتى الصلاة قد حيل بينه وبينها ، وهل يتمتع بالطهر إلا ساعات عقب استحمام لا وجود به أولياء الأمر إلا مرة كل شهر ؟ فحرم من الصلاة وهو أشد ما يكون حاجة إلى مناجاة الرحمن فى هذه الوحدة الموحشة » .

وقد نسى الكاتب أن الصلاة لا ترفع عن الإنسان بأى حال من الأحوال حتى وإن كان مريضاً كما ذكر فى الرواية ؛ لأن كلاً من القرآن والسنة قد نصا على التيمم كبديل عن استعمال الماء فى الطهارة ، وأيضاً جعل النبى صلاة المريض حسب حالته من القعود والاستلقاء على ظهره

حتى الإيماء بعينه ، ولا يعذر هذا الكاتب بادعاء جهله بهذه الأحكام الدينية؛ لأنه اطلع على تفاصيل المذهب الشيوعي في عرضه لحجتهم ، فكان الأجدر أن يطلع أو يسأل أهل العلم ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل] ، ولكن كيف للكاتب أن يسأل رجال الإسلام وقد عبر عن رؤية فيهم في الحوار الذي دار بين الأب وابنه كمال ونصه :

« الدين شيء ورجال الدين شيء آخر !

- ولكنك يا بابا تحترم رجال الدين وتحبهم !

- لا تخلط بين الأمور ، أنا أحترم الشيخ متولى عبد الصمد وأحبه كذلك ، ولكن أن أراك موظفاً محترماً أحب إلى من أن أراك مثله ، ولو سرت بالبركة بين الناس ودفعت عنهم سوء بالأحجة والتعاويد . . . لكل زمان رجال » (قصر الشوق ص ٦١ ، ٦٢) ، الكاتب لا يجهل أن أمثال هذا الشخص ليس من رجال الدين والعلماء .

والجدير بالذكر أن نجيب محفوظ قد سبق وأن نشر في العدد ١٨٩٥ من جريدة السياسة الصادرة في الكويت يوم ٣ / ٩ / ١٩٧٣م أنه لا يتردد في اختيار الماركسية لإيمانه بسلامة التطبيق في ذاته .

وبغض النظر عن الشك في النظرية أو ما سمي التجربة ، فإذا كان ما ينشر له اليوم من تصريحات صحفية يتعلق بكمال وإيمانه وعدم طعنه في الأديان ، إذا كان ذلك صحيحاً فالواجب عليه أن يصدر كتاباً يُصحح فيه العديد مما ورد في كتبه والتي لا يعلمها الكثير ؛ لأن عرضها في مسلسلات قد خلا تماماً من هذه الأباطيل حيث حذفت ، وأيضاً عليه أن يكتب رأيه في انهيار الشيوعية نظرية وتطبيقاً ، وإشهار إفلاسها .

حارة نجيب محفوظ والتطرف المرفوض

خلطت أكثر الصحف العربية بين محاولة الاعتداء الغاشمة على الكاتب الكبير الأستاذ / نجيب محفوظ ، وبين قرار الأزهر الشريف بعدم جواز نشر هذه الرواية ، وأمام هذه الضجة التى أثارها الكثيرون حول قرار الأزهر الشريف أحب أن أوضح للقارئ تاريخ هذه الرواية .

طلب الصحفى على حمدى الجمال - بتكليف من محمد حسنين هيكل - من نجيب محفوظ نشر رواية مسلسلة بالأهرام ، فوعده أن تكون أولى رواياته القادمة للأهرام ، وشاء القدر أن تكون تلك الرواية هى « أولاد حارتنا » ، ونشرت جريدة الأهرام الرواية بشكل مسلسل فى نهاية عام ١٩٥٩م وثار علماء الأزهر واعتبروا الرواية قاذحة فى كرامة الأنبياء وطالبوا بمحاكمة كاتبها، ووقف نشرها، وأصر هيكل على نشرها، حتى قرر حسن صبرى الخولى - بناء على رغبة عبد الناصر - وقف طبعها فى مصر .

يقول د . محمد يحيى ومعتز شكرى فى كتابهما (الطريق إلى نوبل عبر حارة نجيب محفوظ الصفحة ٢٠ ، ٢١) :

« لا يحدث كثيرا أن يقود الدعاة أتباعهم إلى الشوارع لكى يعلنوها صيحة تطالب بحظر رواية من الروايات ، كما لا يحدث كثيرا أن يضطر رئيس تحرير لصحيفة كبرى أن يعتمد على صداقته لرئيس الدولة لكى يضمن استمرار نشر رواية مسلسلة كاملة دون حذف حتى نهايتها ، ولكن هذا ما حدث فى مصر فى عهد عبد الناصر سنة ١٩٥٩م عندما نشرت جريدة الأهرام شبه الرسمية (أبناء الجبلأوى) بقلم نجيب محفوظ ، وقد

بلغت الضجة والهيّاج إلى الدرجة التي أصبح فيها لا يجرؤ ناشر مصرى واحد على أن يصدر الرواية فى كتاب ، وظلت لسنوات تنتقل من يد إلى يد فى طبعاتها الصحفية ، وليس قبل عام ١٩٦٧م - وفى لبنان - أصبحت أخيرا متاحة فى شكل كتاب وإن كان به حذف طفيف، وصدر من دار الآداب .

وجاء فى الصفحة (٢١) من نفس الكتاب :

«وكان السبب وراء هذا العنف الذى اتسمت به ردود الأفعال هذه أن نجيب محفوظ تناول بجرأة القضايا التى ينقسم حولها - على نحو عميق - الناس لا فى مصر وحدها، بل ربما فى العام كله ؛ ذلك أن الأبطال الذين يعقب بعضهم بعضا فى الحارة القاهرية الخيالية لنجيب محفوظ يحيون من جديد دون أن يدروا حياة كل من آدم وموسى وعيسى ومحمد ، بينما سلفهم المعمر - وهو الجبلاوى - يمثل الله ، أو بمعنى أصح « ليس الله ، ولكن فكرة معينة عن الله صنعها الناس » كما عبر بذلك نجيب محفوظ فى سياق مناقشة تمت معه . . . » .

ويقول د . رشيد العنانى ^(١) : « فقد كانت (أولاد حارتنا) المنشورة فى ترجمة إنجليزية تحت عنوان « أبناء الجبلاوى » قمة رمزية متفردة عن تاريخ البشرية منذ الخلق أو التكوين وحتى عصرنا الحاضر ، وفيها تنزع عن أصحاب اليهودية والمسيحية والإسلام قداستهم ويتم تمثيلهم تحت ستار رقيق، باعتبارهم مصلحين اجتماعيين . . . وثمة شخصية أخرى فى القمة الرمزية تمثل العلم الذى يتم إظهاره على أنه حل محل الدين وعلى يديه

(١) عن مقدمة د . رشيد العنانى لترجمته الإنجليزية لرواية : « حضرة المحترم » لنجيب محفوظ ص ١٠ من المقدمة - نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٧م .

تحقق فى النهاية موت الله . . . » أما محمد روميش (١) فقد كتب يقول:
(تجسدت قيمة العلم فى شخصية « عرفة » فى رواية (أولاد حارتنا)
وقد رأى فيه نجيب محفوظ آخر الأنبياء ، ورأى فى عرفة ، واسمه كما
هو واضح من المعرفة أى العلم مستقبل البشرية .

وتذكر د . فاطمة موسى محمود (٢) : « كان محفوظ قد سبق له فى
سنة ١٩٥٩م أن جلب على نفسه غضب جامعة الأزهر - معقل التقليديّة
الإسلامية - وذلك بروايته الاجتماعية والدينية « أولاد حارتنا » التى يمثل
فيها أحد الشخصيات « الله » بينما يظهر فيها أيضا « موسى » و « عيسى »
و « محمد » ، وبالرغم مما يتمتع به الكاتب من مكانة مرموقة تقترب من
مكانة فرعون - حسب وصف أحد النقاد القاهريين - فقد اضطر أن ينشر
العمل فى لبنان .

أما وائل عزيز فقد كتب فى كتابه (محفوظ الحقيقة الغائبة/ نوبل):
« ونجيب محفوظ يقصد فى أكثر من مكان أن يشير إلى أنه يتحدث عن
الأنبياء، ويبدأ ذلك من اختياره للأسماء والمواقف ، خذ على سبيل المثال :
أول المصلحين اسمه أدهم وهو اسم قريب النطق من آدم وكان يعيش فى
البيت الكبير ثم طرد منه .

« جبل » : التقطته زوجة الناظر وربته فى بيتها (نفس ما حدث
لموسى ﷺ . . .) .

(١) عن مقال لمحمد روميش بعنوان : « مع نجيب محفوظ » - الهلال - نوفمبر ١٩٨٨م - ص
١٥٦ .

(٢) عن مقدمة جون فاولن للترجمة الإنجليزية لميرامار ترجمة د . فاطمة موسى محمود - دار
هاينعان والجامعة الأمريكية - طبعة ١٩٧٨م .

« رفاة » : هو المسيح ﷺ ، ولاحظ اشتقاق الاسم من حادثة رفع المسيح ﷺ ، وهو يدعو إلى تخليص الأرواح من ضعفها (نفس دعوة المسيح) ، بل ويضطرب نجيب محفوظ فى الإعلان عن وفاته نفس الاضطراب الذى صاحب قصة المسيح ﷺ نفسه .

« قاسم » : هو محمد ﷺ ، وهو اختيار واضح ، فالرسول هو أبو القاسم ، ودعوته بدأت فى الجرايب . . . وبدأ قاسم حياته يرعى الغنم ، تماما كما فعل ﷺ . . . بل الوصف الذى منحه لقاسم وهو (آنس إلى المقطم وصخرة هند وقبة السماء ذات الأطوار العجيبة) مستخلصة تماما من سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة الذى كان يعتكف بالشهور فى غار ثور يتأمل السماء) ص ١٠٦ ، ١٠٨ .

ويسترسل وائل عزيز بقوله : « بدهى أننا لا نوافق الكاتب على منهجه ، والناقد على تبريره ؛ من جهة ؛ لأن الكاتب أساء إلى قداسة الأنبياء بفعله هذا - دعك من النوايا - ثم النهاية المفجعة التى أنهى بها حياة الجبلأوى « الرب » على يد عرفة « العلم » ، غير مبررة فنيا ودينا على حد سواء . . . » (ص ١١٢) .

ويعلق وائل عزيز فى ص ١٢٤ ، ١٢٦ من نفس الكتاب السابق بقوله : « وإذا كانت الشعوب الأوربية هى النموذج الذى يحلو للبعض أن يوجهنا إلى احتذائه ، فلا بأس هنا من إيراد بعض ردود الفعل التى صاحبت عرض فيلم « غواية المسيح الأخيرة » . . . وفيلم « قضية نساء » لإيزابيل هويلير الفرنسية . . .

* تظاهر آلاف الأمريكين عند عرض الفيلم الأول فى أغسطس ١٩٨٨ م ، وطالبوا الشركة المنتجة باتلاف الفيلم ، وهددوا بالتعرض

لجميع مصالحها .

* ولدى عرض الفيلم الفرنسى قام بعض المتطرفين بإلقاء القنابل المسيلة للدموع ، وهاجموا الصالات وهم ينشدون التراتيل الدينية ويحملون صلبانا خشية .

* وقام المتظاهرون الأرثوذكس فى اليونان بعمليات تخريب فى صالات عرض الفيلم .

* وقررت السلطات الهندية منع عرض الفيلم لإساءته للطوائف المسيحية ، يقول د . لويس عوض فى تعليقه على فيلم « غواية المسيح الأخيرة : » وهو الفيلم الذى أثار ضجة هائلة وقامت من أجله عشرات المظاهرات فى لندن ونيويورك مطالبة بوقف عرضه بالفعل كان هناك شغب فى أمريكا أثناء عرض الفيلم ووجدت الفيلم فعلا مؤذيا للشعور - بل وللتفكير السليم - ويبحث على الاشتزاز والامتعاض وكان أكثر ما استفزنى فى هذا الفيلم أنه يؤلف سيرة مختلفة - تماما لحياة المسيح . . . » (ص ١١٣ ، ١١٤) من الكتاب السابق .

ويكمل وائل عزيز تعليقه قائلا :

« فللسبب الذى لام من أجله د . لويس عوض مؤلف ومخرج الفيلم المسيحى يحق لنا أن نلوم نجيب محفوظ الذى فعل برفاعة ما لم يفعله سيزى بالمسيح ، برفاعة نجيب محفوظ تزوج وترك زوجته تزنى لعجزه عن القيام بواجباته الزوجية . . . » (ص ١١٥) ، وبعد هذا العرض التاريخى للضجة التى أثارها رواية (أولاد حارتنا) فإننا نؤكد أننا جميعا نشجب وبشدة حادثة الاعتداء الغاشمة على الكاتب الكبير الأستاذ

نجيب محفوظ باسم الدين والمنطق والعقل والعرف ؛ لان الفكر يواجه
بالإقناع والحجة والفكر المستنير . كما أن الدين حث على الدعوة بالحكمة
والموعظة الحسنة ، حيث قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) [النحل] .

رواية الطريق والتشكيك فى وجود الله

نجد الكاتب نجيب محفوظ يقول فى هذه الرواية :
« وهذه الحرب التى تهدد العالم ، ألا تضمن لنا القطن ؟
- لن تكون كالحروب الماضية .
- أجل إنها لن تبقى على شىء .
- القطن والفول والبهاشم والخلق !
فتساءل الصوت الأول :

- وأين الله خالق كل شىء وحافظه ؟ » (رواية الطريق - ص ٥٦) .
إن ترك الجملة هكذا فى صورة أو صيغة استفهامية يوحى بالتهكم
والسخرية ، حيث إنه لم يروه أحد أو يجيب هو على هذا التساؤل الذى
قدمه الكاتب وهو (وأين الله خالق كل شىء وحافظه) .
إن عدم إجابته على السؤال الذى طرحه فيها تشكيك فى وجود الله
سبحانه وتعالى وفى قدرته عز وجل .

حب تحت المطر

- وفى روايته حب تحت المطر يقول :
- « حفلات الساعة الثالثة فى السينما .
- لا أهمية لذلك ، المهم هل الله موجود ؟
- ولمَ تريد أن تعرف ؟
- وكان شغلنا الشاغل الوحدة العربية والوحدة الإفريقية .
- وما دخل ذلك فى وجود الله ؟
- أصبح شغلنا الشاغل متى وكيف نزيل آثار العدوان ؟
- معى دقيقة واحدة ، أهو موجود ؟
- كانت أياماً مجيدة .
- كانت حلماً .
- بل كانت وهماً .
- ويضيقون بوقوفنا دقائق فى الناصية !
- الكلاب !
- إذا قدر لليهود أن يخرجوا فمن سيخرجهم غيرنا ؟
- من يقتل كل يوم غيرنا ؟
- ومن قتل عام ١٩٥٦م ؟ من قتل فى اليمن ؟ من قتل عام ١٩٦٧م ؟
- يظن العجوز أن المحافظة على بنت نصف عارية هى كل شىء .

- علينا أن نبدأ من الصفر .
- أن تزاح عن صدورنا الكوايس .
- لا أحد يريد أن يجيئني ، أهو موجود ؟
- طيب يا أخى ، إذا حكمنا بالفوضى الضاربة فى كل مكان فلا يجوز أن يوجد !
- أليس من الجائز أنه يملك ولا يحكم ؟
- والمصريون من عباده ؟ « .
- (رواية الحب تحت المطر ص ٣٦ ، ص ٣٧) هكذا ينكر نجيب محفوظ وجود الله فى صورة تساؤل ، لا جواب عليه ، سوى أنه من الجائز أنه يملك ولا يحكم .
- وسخرية أخرى أن المصريين يعبدون هذا الإله الذى لا يحكم ، وقد حسم الكاتب أنه لا يجوز أن يوجد .
- إن هذا هو الفكر الشيوعى الذى يروج له هذا الكاتب .

حكايات حارتنا

أ- الحكاية (٦٩) :

يقول نجيب محفوظ فى حكايات أولاد حارتنا فى الحكاية رقم (٦٩)، يقول ما نصه !

« عينيه حذر وتوجس ، فى أذنيه صمم يغلقهما دون اللعن ويفتحهما لما ينتفع به ، لا يخترق القبو ، لا يزور المقابر ، يعيش وحيداً فى بدروم ، لم يتزوج ، لم يذعن لنزعة ، يقرض النقود بالربا » ص ١٥٨ ، « يرى حلماً بأنه جاءه شخص فى المنام وأمره أن يحرق نقوده ، ولا يستطيع أن يحرق نقوده أو أن يتصدق بها على الفقراء كما طلب منه الشيخ ، ثم ذات يوم يهرعون إلى النافذة يرون (أبو المكارم) واقفاً عارياً تماماً والنار تشتعل فى ماله » .

« ويهيم بعد ذلك على وجهه عارياً ، يلتقط الطعام من أكوام القمامة ثم يقبع فى ظلمة القبو ويعثر عليه يوماً ميتاً تحت القبو فيدفن فى قبور الصدقة » .

« ثم يرى أحد الأعيان حلماً ، يزوره سيدنا الخضر ويبلغه أن أبو المكارم ولى من أولياء الله ، وأنه مكلف بإقامة ضريح فوق قبره » ص ١٥٩ .

وهكذا اختلطت الأوراق والأفكار وأصبح (أبو المكارم) ولياً من أولياء الله ، والسؤال : من هو الولي ؟ وما هى صفات أولياء الله الصالحين ؟ وهل تنطبق على أبى المكارم هذا ؟ الإجابة بالطبع لا .

إذن فالكاتب يهدم فكرة أولياء الله الصالحين ، ويحاول تشتيت عقول

الشباب وإظهار أولياء الله على أنهم ربويون ويسرون عراة .

ب- الحكاية (٧٠) :

وفى الحكاية رقم (٧٠) من حكايات جارتنا يقول ما نصه : « رجل يخرج من ظلمات القبو ، عارياً كما ولدته أمه ، يهرع إليه أهل الخير يغطونه ، يعتمدون جرحاً غائراً فى رأسه ويندمل الجرح ولكن العقل يذهب فيصبح من أهل اللطف ويعيش فى الحارة لا يبرحها إلى ما يلقى من ستر ورحمة ؛ تطعمه الصدقات ، ينام تحت القبو شتاءً ، وعند سور التكية صيفاً ، كلامه هذيان أو أصوات مبهمه ، يضحك ويبكى لغير ما سبب ، ويظل مجهول الاسم والأصل والهوية والهدف » ص ١٦١ .

« ثم نسمع رجلاً يدافع عن « ولاية » عبد الله (اسم من لا اسم له) أى فرد منا لا تيسر له الحياة إلا بفضل معرفته للأصل الذى جاء منه والهدف الذى يسعى إليه ، أما عبد الله فقد تيسرت له الحياة وحظى ببركاتها مع جهله بكل ذلك ، ومن ينعم بملكوت الله الحياة وهو يجعل أصله وهدفه ومعنى حياته جدير بالولاية والتقديس ! » ص ١٦٢ .

وهكذا أصبح « عبد الله » الذى لا عقل له ويقال عنه : فى أهل اللطف ، ويعيش على الصدقات ، ولا يعرف هدفه أو معنى حياته يصبح ولياً من أولياء الله ويستحق التقديس عند الناس من وجهة نظر الكاتب ؟ » .

فالهدف هو الطعن فى الدين حيث قدمه الكاتب للقراء فى هذه الصورة السيئة .

جـ- الحكاية (٧٣) :

وفي الحكاية (٧٣) من حكايات حارتنا يقول :

« مصطفى الدهشورى من القلة الراسخة فى العلم فى حارتنا وهو أحد المدرسين فى مدرستنا . يسأل أبى ذات مساء فى بيتنا :

- مامعنى الحياة ؟

يقول الدهشورى :

- إذن فأنت واثق من كل شىء ، من الحياة والموت وما بعد الموت أعندك فكرة عما يحدث فى القبر ؟ فيحدثه أى عن التلقين وحساب الملكين ومستقر الروح وشفاعة النجاة فى الآخرة ، وعند ذلك يقول الدهشورى :

- إليك قصة الجسد البشرى ساعة بساعة من الوفاة حتى يستحيل هيكلًا عظيمًا ويردد حديثاً مربعاً ومقززاً كأنه كابوس طويل ، فيهتف أى محتجاً:

- كفى : ماذا تريد ؟ » .

وهكذا يشكك فى حساب الملائكة ، ويشكك فى عذاب القبر ، وفى شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة .

والجدير بالذكر أن عذاب القبر ورد فى القرآن الكريم فى قول الله تعالى عن الفراعنة : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤٦) [غافر] وفى صحيح مسلم عن عائشة قال النبى ﷺ : « أوحى إلى أنكم تعذبون فى القبور » . قالت :

سمعت رسول الله بعد ذلك يستعيز من عذاب القبر .

د- حب تحت المطر وإباحة الجنس :

يبيح نجيب محفوظ الزنا في روايته (حب تحت المطر) فالكاتب يقدم لنا أفكاراً خاطئة، وهو يبيح الجنس إذا كان بدافع من الحب ، ولا يخفى على القارئ أن ممارسة الجنس بدون زواج حتى ولو كان بدافع من الحب يعتبر « زنا » ، لكن الكاتب يتدع أخلاقاً ومبادئ لحماية هذا الزنا فيقدم لنا « منى زهران » على أنها شخصية صاحبة قيم وأخلاق سوية ، ليست كمثيلاً لها ممن مارسن الجنس من أجل أدوات الزينة أمثال « رايشة وعليات » ، فيقول عنها: « هي لا تستسلم للجنس إلا بدافع الحب » ويعتبر هذا من المبادئ والأخلاق ، إذ يقول على لسانها : « لا يمكن أن أتهاون في مبادئ وأخلاقى ، أجل فهي معروفة بأخلاقياتها ، وهي لم تمارس الجنس إلا بدافع من الحب ، ولم تضطر - مثلها - إلى ممارسته في أحيان كثيرة لاقتناء ما يحتاجان إليه من ملابس وأدوات زينة » (حب تحت المطر ص ٤٦ ، ٤٧) .

كما كتب أيضاً :

« وقال لنفسه : إنها الصديقة الوحيدة التي لم تستسلم لنزواته والتي لا تستسلم إلا للحب » . (حب تحت المطر ص ٨٣) . فهو يجعل الحب كالزواج يبيح كل ما يبيحه الزواج ، ويزعم أن هذه مبادئ وأخلاق لا تهاون فيها .

هـ- الحكاية (٧٣ ب) :

يقول نجيب محفوظ في الحكاية رقم (٧٣ ب) :

« - أريد أن أصور لك حقيقة لا شك فيها » ، لكن لم يوضح لنا الكاتب ما هي تلك الحقيقة التي لا شك فيها ؟ ثم يسأله الاب ساخراً .
- ألا تؤمن بالله ؟ فينتسم قائلاً :

- بلى ، لا حيلة لى فى ذلك » . ثم يواصل حديثه :

- « ولكنه لا يتصل بى وأنا عاجز عن الاتصال به ، بينما صمت قاتل وأرى فى الحالة شراً لا تفسير له ، وأرى فى الطبيعة عجزاً ونقصاً ، ولا أفهم لذلك معنى ، فلم أشك فى أنه - سبحانه - قرر أن يتركنا لأنفسنا ، بلا اتصال وبلا عناية » ص ١٦٨ .

الدهشورى كما وصفه الكاتب من القلة الراسخة فى العلم وها هو يقرر عنه : « إن فى الطبيعة عجزاً ونقصاً وأن الله قد قرر أن يتركنا بلا اتصال وبلا عناية » . وكأن الكاتب يقول : إن العلم يؤدى إلى الشك فى وجود الله ، ثم يقول باسم الدهشورى : « وإذا فلا تخش أن يأخذ الناس الحياة مأخذ اللهو إن وجدوا أنفسهم فى عالم بلا إله ، لا مفر من الجدية ، ومن الإبداع ، ومن الأخلاق ، ومن القانون ، ومن العقاب ، وقد يستعينون أيضاً بالعقاقير الطبية لمقاومة الضعف فى السلوك والتفكير كما يستعينون بها فى مقاومة الأمراض ، وسيفعلون ذلك بإصرار ، ولن تهن عزيمتهم بسبب أنهم يجدون أنفسهم فى سفينة بلا مرشد فى بحر بلا شطآن فى زمن بلا بداية ولا نهاية » (من الحكاية ٧٣ ص ١٦٩) .

فهذا من نجيب محفوظ تشكيك واضح فى وجود الله تبارك وتعالى ، وقدم لذلك بأنه يصور حقيقة لا شك فيها ، ثم تساءل مباشرة بعد هذه العبارة بقوله : « ألا تؤمن بالله ؟ » .

و-الحكاية (٧٨) :

وفى الحكاية رقم (٧٨) يقول :

« الشيخ عمر فكرى كاتب محامى متقاعد ، وقد فتح مكتباً لمعاونة أهل الحارة فى شؤون الحياة ، يسأله الراوى عن الشيخ الأكبر إذا كان رآه أو كيفية رؤية شيخ التكية الأكبر ، فيقص عليه قصته بأنه كان منذ الصغر مولعاً مثله برؤية الشيخ الأكبر ولكنه لم يستطع ، سأل الراوى :

- توجد وسائل أخرى ولا شك ؟ فقال باسم :

- يوجد العقل ، هو الذى خلصنى من رغبتى المحمومة ، قال لى :

إننا نرى التكية والدرائش ولا نرى الشيخ الأكبر ، فسأله أبى :

- هل يصلح هذا دليلاً على عدم وجوده ؟

- إنه لا يقول ذلك ، إنه يقرر حقيقة نعرفها جميعاً وهى أننا نرى

التكية والدرائش ولا نرى انشيخ الأكبر » ص ١٨١ .

فهو يرمز بالشيخ الأكبر بأنه الله ويقدم « هذه الأقوال كدليل على

عدم وجوده .

ز-الحكاية (٤٦) :

وفى الحكاية رقم (٤٦) يقول : « سعد الجبلى كاتب حسابات بـدكان

الرهونات بحارتنا ... كل ليلة يدعو إلى بيته نخبة من الصحاب ...

يقدم الطعام والشراب ، يلعب بأوتار العود ، يغنى من له صوت مقبول ،

تمتد السهرة إلى منتصف الليل » ص ٩٩ ، هذا الشخص سكير حيث يقول

عنه : « أجل يشرب كثيراً ، لا يلتزم بالفرائض ، ولكنه مؤمن حقاً ، يعتقد

بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأنه لا مفر من المكتوب » .

إن نجيب محفوظ لا يجهل أن المؤمن حقاً من كان كامل الإيمان ؛
إيمان بالقلب ويصدق العمل ، أى الالتزام بالعبادات والفرائض ، فلا
يوصف شخص بأنه مؤمن حقاً إلا إذا كان ملتزماً بأوامر الله تعالى ، بالتالى
يلتزم بالفرائض ولا يشرب الخمر ، لكن نجيب محفوظ هنا يشكك فى
الدين على النحو سالف الذكر .

ح- الحكاية (٤٤) :

يقول نجيب محفوظ فى الحكاية رقم (٤٤) :

« كانت الزاوية حديثة البناء ، وكان إمامها وقتذاك الشيخ أمل
المهدى » . يقول عنه : « صعد الشيخ إلى شرفة المثانة ليؤذن للفجر فانتبه
إلى صوت يصدر عن البيت المواجه للزاوية مد بصره نحوه فرأى امرأة
تفتح النافذة ورجلاً يطبق يده على فمها ليمنعها من الاستغاثة ، ثم يجذبها
إلى الداخل تحت المصباح الغازى المضئ ثم ينهال عليها ضرباً بشئ فى
يده حتى تهاوت ساقطة ، عرف المرأة كما عرف الرجل ؛ أما المرأة فهى
الست سكينه أرملة صاحب مقهى ، وأما الرجل فهو المعلم محمد الزمر
صاحب وكالة خشب » ص ٩١ ، « وخان الشيخ صوته فلم يستطع أن
يؤدى الأذان ، وكان المعلم محمد الزمر هو من تبرع ببناء الزاوية أى
المسجد ، وهو الذى اختار الشيخ إماماً لها ورتب له أجره » ص ٩٢ .

وهكذا فالكاتب يريد أن يخبرنا بأن من يتبرع ببناء المساجد قاتل
وسارق وزان .

يقول :

« ولم يستطع الشيخ أن يبوح بما يعرف ، ثم هرول إلى الزاوية

فأغلقتها على نفسه بالمفتاح والمزلاج ، وعند مغرب اليوم الثالث فاجأ أهل الحارة بظهوره فى شرفة المئذنة ، وقف الشيخ أمل عاريا تماماً ومضى يدور فى الشرفة متبخترأ ويغنى بصوت متحشرج :

أما أنت مش قد الهوى بس تعشق ليه ؟

هكذا يقدم نجيب محفوظ المتدينون بأنهم اللصوص والقتلة ويسترون فى بناء المساجد ، أما أئمة المساجد فلا يستطيعون الثبات على الأخلاق والقيم إذا ما رأوا المرأة ، فهذا هو الشيخ أمل المهدي يقدمه نجيب محفوظ على أنه لم يستطع الثبات عندما رأى أرملة صاحب المقهى فى أحضان الثرى محمد الزمر، فلم يستطع أن يؤذن وأغلق المسجد ثلاثة أيام، ثم ظهر عارياً تماماً يغنى بالغناء سالف الذكر ، وهذه هى وسائل الشيوعيين لهدم الدين .

ط - الحكاية (٦٨) :

يقول نجيب محفوظ فى الحكاية (٦٨) :

« عبدون اللالة » نشيط ذو همة عالية (يعمل من طلعة الصبح حتى أول الليل ، لا يرتاح ولا يهمد ، لا يتذمر ولا يشكو ، المعلم يقدره والزبائن يحبونه ، يصلى العشاء فى الزاوية ، يحضر الدرس ، يؤاخى الإمام ويسترشد بآرائه فيما يعن له من مشكلات » ص ١٥٦ .

« ما أعجبه فى حارتنا ، كأنه لا يسمع سبابها لا يشهد منازعاتها ، ولا يتعامل مع أهل المعاصى والفتن من أهلها » ص ١٥٧ .

« وذات يوم ظهر فى الحارة بجلباب أبيض كالحليب ، وطاقية مزركشة ومركوب أحمر ، وكلما التقى بصاحب له عانقه أو بذى مقام قبل يده ،

وقد أضرب عن العمل ولم ينطق فى ذلك اليوم إلا بجملة واحدة قال :
- اقتربت الساعة ، ويختفى ساعة ، ثم يلوح فوق سطح القبو - وهو
يستقبل الحارة بوجهه صامتاً - وينتحر عبدون اللالة ، يشب من أعلى
السطح فيتهاوى حتى يرتطم بعنف بأرض الحارة ثم يموت منتحراً » .
يقول : « أن أعرف لماذا أحيا أسهل كثيراً من أن أعرف لماذا انتحر
عبدون » ص ٥٧ .

هكذا يقدم نجيب محفوظ المتدين فى هذا المظهر غير المتزن والمقترن
بخلل فى العقل ، يؤدى إلى ترك العمل والهديان بالكلمات ثم الانتحار .

ثانيا

التشكيك في الدين في
روايات نظراء نجيب محفوظ

التشكيك فى الدين فى أدب يوسف إدريس

لا يستطيع أحد أن ينكر على الكاتب يوسف إدريس موهبته فى كتابة القصة القصيرة ، ولكن ما أنكره هو استخدامه لتلك الموهبة فى هدم الدين والقيم والأخلاق أولاً ، والاستهزاء والسخرية بالإسلام ثانياً ، ونشر الفوضى والإباحية الجنسية وإثارة الغرائز فى نفوس الشباب ثالثاً .

ولابد قبل كل شىء أن ألفت انتباه القارئ الكريم إلى أننى قد حصلت على كل مؤلفات يوسف إدريس وعكفت على قراءتها ، ولكن المجال لا يتسع هنا لعرض كل تلك النماذج ، وسأكتفى فى هذه المقالات باختيار أمثلة من قصصه القصيرة ؛ ولنبدأ بالنموذج الأول وهو عبارة عن قصة قصيرة بعنوان :

« أكان لا بد يالى لى أن تضىء النور » .

يحدثنا الكاتب فى هذه القصة عن نكتة حدثت لأهالى حى الباطنية (وكر الحشيش والأفيون) عندما ذهبوا لأول مرة فى حياتهم ليؤدوا صلاة الفجر، يقول الكاتب: « النكتة حدثت قرب نهاية الصلاة . . . والنكتة أنهم صلوا الركعة الأولى فى أمان الله وكذلك الثانية ، ولم يعد باقياً على انتهاء ركعتى الفجر إلا السجدة الأخيرة . . . أما السجود فقد سجدوا . . . قال الإمام الشيخ : الله أكبر ثم سجد ، وسجدوا جميعاً وراءه . . . » ص ١٢ ، ١٣ ، ولكن السجدة قد طالت بطريقة غير عادية حتى ملأت الشمس صحن الجامع والمصلون مازالوا ساجدين فى انتظار تكبيرة الإمام ، وبدأ

المصلون يضعون الفروض والاحتمالات لما يمكن أن يحدث للإمام .

يقول الكاتب فى صفحة (١٤): « بدأت عقولهم تسرح وتنطلق إلى ما شاءت من خيال: أمرض ؟ أمات ؟ أأغمى عليه ؟ أتكون حشيشة أغراه بها شيطان منهم وبدأت تكبس على يافوخه » .

ثم يتساءل الكاتب عن حكم الدين فى مثل هذا الموقف يقول فى نفس الصفحة ص ١٥ : « ما هو حكم الدين فى موقف كهذا ؟ وهل إذا رفع أحدهم رأسه تفسد صلاته ؟ وربما صلاة الجماعة بأسرها ؟ ويحمل هو وحده ذلك الوزر كله ؟ وهل يحتمل أحدهم أن يكون هو دون باقى الساجدين جميعاً المتسبب فى إفساد الصلاة ؟ » ويوضح لنا الكاتب حرص المصلين على عدم) رفع أحدهم رأسه ليعلم ماذا حدث للإمام وذلك حتى لا تفسد صلاته، يقول: « معرفة ما حدث تستلزم رفع الرأس والاستطلاع، ورفعها نقض .. للصلاة » ص ١٦ .

ويشير الكاتب بعض الأفكار الشيطانية المفضية للضحك فى نفوس هؤلاء المصلين فيقول فى صفحة (١٥) : « يمتد الوقت حتى لتبدأ أفكار شيطانية خبيثة تخطر لبعضهم أكثرها شراً - بالتأكيد - فكرة أن يضحك ليس فقط على الوضع الذى هم فيه وإنما على ما يمكن أن يحدث لو كان الشيخ الإمام قد وافته سنة من النوم مثلاً ، أو الأدهى لو كان مات وأنهم سيقون هكذا ساجدين ربما إلى اليوم التالى ، وربما إلى يوم الدين » .

إن تأكيد الكاتب على حرص المصلين على عدم إفساد الصلاة برفع رأسهم لمعرفة ماذا حدث للإمام يتناقض مع ما جاء فى بداية القصة حيث ذكر الكاتب فى صفحة (١٢) « أنهم أدوا الصلاة أنصاف مساطيل وأنصاف يقظى ، ينسى الواحد منهم أنه قرأ الفاتحة فيقرؤها ثانية ، ويعود

ينساها أو يعود يتذكر فيعود ينوى للصلاة فى منتصف الصلاة .

وكان طبيعيا - من وجهة نظر الكاتب - أن يثير هذا الوضع بعض الأفكار الشيطانية المفضية إلى الضحك فى نفوس بعض المصلين خاصة عندما تتخيلون أنهم سيقون هكذا ساجدين إلى يوم الدين .

كتب المؤلف فى صفحة (١٥) يقول : « يمتد الوقت حتى لتبدأ أفكار شيطانية خبيثة تخطر لبعضهم أكثرها شراً بالتأكيد ، ثم يحضر إلى المسجد أحد المساطيل وهو «معزة الأفيونجى» الذى كثيراً ما تطرده امرأته فيتخذ من المسجد منزلاً، وتكلم «معزة الأفيونجى» ليحل أخيراً ذلك اللغز وينقذ هؤلاء المصلين، فيقول فى (ص ٣١): «شوفوا الناس المساطيل إلى ساجدة وتبصلى من غير إمام». ثم يتحدث الإمام الشيخ «عبد العال» خريج الأزهر ليروى لنا ما حدث له. تسلق الإمام المئذنة ليؤدى الأذان الشرعى لصلاة الفجر ، ولكن دائرة المئذنة فى مستوى نافذة شقة فى السطوح تقطنها امرأة تدعى «لى لى» وبينما كان الإمام يؤدى الأذان إذا به «لى لى» تفتح الشباك فيرها الشيخ بوضوح حيث لا يفصله عنها سوى عرض الشارع غير العريض ، يقول الشيخ فى صفحة (٢٤) : «على السرير ترقد امرأة بيضاء ، شاهقة البياض ، ممدودة بطولها ، وقد أخفت ساقاً ... هبط الشيخ عبد العال من المئذنة دون أن يؤدى الأذان الشرعى من فوره ، اتجه إلى القبلة ونوى الصلاة ، يقول الإمام : « قلت الصلاة بلسم الجراح .. استقبلت القبلة ونويت ... فتحت عينى ... كانت «لى لى» فى منتصف القبلة نائمة ، عارية ، مبعثرة ... » (ص ٣١).

ويكمل الشيخ قصته فى نفس ذات الصفحة فيقول : « وبينما الجميع ساجدون كالقطيع بعد طول ضلالة ، كنت قد تسللت عبر النافذة الملاصقة

للقبلة ، وفى لمح البصر كنت أدق غرفة الدور الثانى فى البيت المقابل
فأرى « لى لى » وقد لفت نفسها بملاءة السرير تفتح بابتسامة مرغوبة قلت
لها وأنا أفك زرار الكاكولة

- جئت أعلمك الصلاة، انزلت الملاءة عنها ، فضممتها بقوة وهى
تستدير وتولينى الظهر وتقول :

- أنا اشتريت الأسطوانة الإنجليزى إल्ली بتعلم الصلاة « ص ٣١ .

مما سبق يتبين لنا مدى ما تحمله القصة من استهزاء وسخرية بالدين
وأئمة المساجد ، بل إن الكاتب قد جعل من الصلاة مادة للضحك
والسخرية . علاوة على ما سبق فإن القصة قد ذخرت بالمفاهيم الخاطئة ،
على سبيل المثال : فعندما وقع بصر الإمام على تلك المرأة العارية لم
يغض البصر ، بل قرر أن يجعله امتحاناً صعباً بإمعان النظر - يقول الإمام
فى صفحة (٢٥ ، ٢٦) :

« لن أهرب ، سأضعف الإغراء ، سأنظر ، وسأعاهد النظر ،
سأرتكب الذنب الأصغر ليتعاضم انتصارى على الذنب الأكبر » .

والكاتب ينسى الإمام خريج الأزهر أن الله تعالى قد أمرنا بغض
النظر ، يقول الرسول ﷺ لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه : « النظره الأولى
لك والثانية عليك » ، والله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

وهنا يحاول الكاتب أن يقلب المفاهيم ويدس مفاهيم خاطئة فى
نفوس الشباب ، وهو أن إمعان النظر يضاعف من الانتصار على الذنب
الأكبر .

- من المفاهيم الخاطئة أيضاً أنه عندما يشيخ الشيخ من هداية أهل حى الباطنية أدرك أن الخطأ خطأه ؛ لأنه لا بد له قبل أن يهديهم « أن يصبح منهم ويصبحوا منه » (ص ١٨) ؛ أى تصبح مدمناً للحشيش . وهذه الجملة « أن يصبح منهم ويصبحوا منه » تعنى أن يكون مثلهم وهم كما قال عنهم الكاتب على لسان الشيخ فى (ص ٢٠) : « هؤلاء أناس انفرد بهم الشيطان طويلاً وكثيراً ولم يعودوا يعرفون طريقاً آخر إلا طريق الضلال والشيطان » . فكيف برجل قد عرف طريق الضلال مثلهم أى « أصبح منهم » أن يهديهم ؟ كيف لضال أن يهدى ضالاً مثله؟!

والمفاهيم الأخرى الخاطئة التى يحاول الكاتب أن يقنعنا بها عبر هذه القصة أن أهل الباطنية صادقون ومؤمنون ويرغبون فى الله حقاً ، يقول المؤلف على لسان الشيخ عبد العال : « وبالسليقة عرفت أنهم صادقون ، فى إيمانهم أيضاً صادقون . . . يرغبون فى الله حقاً وفى أعماقهم أيضاً مؤمنون . . . ولكن الحياة . . . حياتهم لا تحتل الله الكامل . إما أن يقبلهم هكذا . . . وهكذا يعبدونه وإما فلا » ص ١٨ وهنا أعطى الكاتب الحق للفساق فى أهل الباطنية أن يعبدوا الله بشروطهم « أستغفر الله العظيم » وهذا تطاول على الله تعالى لينزل على رأى تجار الحشيش والأفيون .

ويستمر الكاتب فى هذا التطاول على دين الله فيبيح تجارة المخدرات ويوجب فيها الزكاة فيقول فى ص ١٨ : « الزكاة معظم أغنيائهم يخرجونها فعلاً ، بل إن أحدهم كان يخرجها عينا كما أمر الدين ، ومن بضاعته ، كان يزكى ، والحج تاج على رؤوس كبار المعلمين أى تجار المخدرات . . » ويسترسل الكاتب شارحاً لنا طريقة عبادة أهل حى الباطنية لله تعالى وهى

الطريقة التي يجب على الله أن يقبلهم بها « وهكذا يعبدونه وإما فلا » كما ذكرت سابقاً .

يقول الكاتب عن صلاتهم وصيامهم :

« لهم دينهم حقاً ؛ الصلاة فيها ركعتا الجمعة كل أسبوع ، والنهار صيام في رمضان هذا صحيح - لكن المهم أن من الفطار إلى السحور حشيش » ص ١٨ .

ثم يطلب منا الكاتب على لسان أهل حى الباطنية أن نذكر آية قد نزلت في تحريم الحشيش فيقول في نفس الصفحة : « وأيمان بالله ما هو الحشيش حرام : أرني آية نزلت تحرمه » ويتجاهل قول الله تعالى : ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ونهى النبي ﷺ عن كل مخدر ومفتر ومسكر .

مغالطات أسامة أنور عكاشة

لا أحد يستطيع أن ينكر الجهد المبذول من الكاتب أسامة أنور عكاشة لإخراج مسلسل « ليالى الحلمية » بهذا المستوى المتميز من الناحية الفنية ، ولكن المسلسل يعرض فكر مجموعة من الشيوعيين سماهم المؤلف بالاشتراكيين ، وفى سبيل الانتصار لمبادئهم يُحرّف التاريخ ويُغير من الوقائع والحقائق التى مازال بعض أصحابها أحياء ، ومنهم من نشر تصحيحاً موجزاً ، ومنهم من نشر تساؤلات فقط ، ويواصل الجزء الرابع من المسلسل سرد قصة هذه المجموعة من الأفراد الذين ربطت بينهم علاقات الصداقة أو القرابة أو الجيرة أو الزمالة ، وقد آمن أغلبهم بمبادئ الاشتراكية أو الشيوعية وقد تعرضوا للسجن فى فترة من حياتهم من أجل هذه المبادئ ، وقد أعلن الكاتب صراحة عن مبادئهم هذه بأنها الاشتراكية خلال حلقات المسلسل .

ثم يذكر الكاتب أنه تمر بهؤلاء الأشخاص الأيام والسنون ونتيجة لاختلاف الزمن وللفساد الذى يعم المجتمع يتخلى بعض منهم عن مبادئه ولكنهم فى النهاية يعودون إلى مبادئهم ويحاولون التكفير عن أخطائهم حتى ولو عرضهم ذلك للقتل أو السجن كما فى حالة « عاصم السلحدار وعلى البدرى » .

ثم يلقي المؤلف بعد ذلك الضوء على الجيل المعاصر من الشباب ويبين لنا مدى تخبطهم فى مجتمع يسوده الفساد وعصر ضاعت فيه المبادئ والقيم والأخلاق « عصر الهلية » - كما جاء على لسان علام السماحى - فلا يجد هؤلاء الشباب القدوة أو المثل الأعلى ولا يجدون من سبيل

أمامهم سوى الانغماس فى المخدرات أو اللجوء للدين .

وهكذا يساوى المؤلف بين الالتجاء للدين والالتجاء للمخدرات ؛ لأن زعيمه كارل ماركس يزعم أن الدين أفيون الشعوب ويجعل الدين مثل المخدرات، كما برر الكاتب لجوء بعض الفقراء للدين لأملهم فى أن يحظوا فى الآخرة بالجنة التى قد تعوضهم عن الظلم وعدم العدل المتفشى فى المجتمع - كما جاء على لسان علام السماحى - وهو فى ذلك ينقل أفكار كارل ماركس عن الدين بأنه سلوى الفقراء العاجزين وليس وسيلة لتحقيق العدل المنشود ، والكاتب يعلم أن كثيرين ممن أسلموا فى عهد الرسول كانوا من الأغنياء وقد أثروا ضياع أموالهم فى سبيل العقيدة .

ويتهى الكاتب إلى أن كلا الطريقتين (المخدرات والدين) سوف يؤدى بالشباب فى النهاية إلى العنف - نقلاً عما جاء على لسان علام السماحى - وقد شاهدنا ما وصل إليه « توفيق » ذلك الشاب الذى أغوته الجماعات الإسلامية فانضم إليهم وانتهى به المطاف إلى سرقة أحد محلات الذهب وقتل صاحب المحل بدون ذنب ، بناء على فتوى لهم من أمير الجماعة ، ويعرض الإسلاميين على أنهم لصوص ومجرمون وقتلة بينما يعرض الشيوعيين على أنهم رمز للمثالية والطهر والموت فى سبيل المبدأ .

كما انتهى الكاتب إلى القول بأن الدين يؤدى إلى العنف، والإسلام الحقيقى كما جاء فى الكتاب والسنة بعيد كل البعد عن هذه الصورة المشوهة من سرقة وعنف وقتل ، فقد نهانا الإسلام عن السرقة وحرّم قتل النفس البشرية ، قال تعالى : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وقد تجاهل الكاتب أن الغالبية العظمى من التيارات الإسلامية لا يمكن أن ينسب إليهم أى عنف أو تطرف وأعمالهم فى النقابات المهنية وغيرها خلال السنوات الماضية أكبر دليل على ذلك ، حتى أن كلاً من وزيرى الداخلية السابقين « نبوى إسماعيل وأبو باشا » قد أعلنوا فى الصحافة المصرية بعد الاعتداء على « أبو باشا » أن الإخوان المسلمين الذين يمثلون الشريحة الكبرى من الجماعات الإسلامية بعيدون كل البعد عن كل تطرف وعنّف ، وقد أكد ذلك أيضاً الدكتور « بطرس غالى » . والكاتب لا يخفى عليه أيضاً أن العنف والتطرف هو حتمية « كارل ماركس » ؛ لأن نظريته فى الصراع الطبقي تؤدى بحتمية تاريخية فى زعمه وهى تصفية الطبقة العمالية لغيرها من الطبقات ودفنها، وهذا هو قمة العنف والتطرف .

ثم يسلط المؤلف الضوء على « الحاج بسيونى والحاج خميس » وقد ارتدى كل واحد منهما الجلباب وأطلق اللحية وحف الشارب وأمسك بالمسبحة فى يده وكونا « شركة الانشراح » وأصبحا يتحدثان بلغة الإسلام، وقد قدم الكاتب فى الأجزاء السابقة من المسلسل تاريخ هاتين الشخصيتين؛ فهما السبارسجية « بسه والخمس » وقد عملا مع الإنجليز فى « الأرئص » ثم عملا فى تجارة العملة وأخيراً فى تجارة المخدرات والتى قد دخلا السجن بسببها ، « وبسه والخمس » كما ظهرا فى المسلسل نصابان لا يتورعان عن القيام بأى عمل فى سبيل الحصول على الربح والمال الوفير ، وقد كان واضحاً من المسلسل أنهما شخصيتان مكروهتان من الجميع نظراً لخستهما .

ونحن بدورنا نتساءل عن هدف المؤلف من جعل أشخاص من أمثال « بسه والخمس » يتحدثان باسم الإسلام؟! فليس هناك من هدف سوى القول

بأن المسلمين يتخذون من الدين ستاراً يخفون وراءه أهدافهم الخبيثة .

والمؤلف بذلك يلمز الإسلاميين وأصحاب شركات توظيف الأموال كما ذكر في المسلسل ، ولا يخفى على المؤلف وغيره أن أصحاب شركات توظيف الأموال فيهم الصالح والطالح ، وأن الذين رفعوا شعار الإسلام منهم قلة قليلة وهى ليست من النصابين ، فكل من شركات الحجاز والبركة والشريف كانت أصولهما تغطى أموال المودعين ، ولكن سوء التصرف والإدارة من الجهة التى وضعت يدها على هذه الأموال أدت إلى المأساة الحقيقية كما كتب صلاح منتصر وغيره من الكتاب . كما أن أصحاب شركات توظيف الأموال ليسوا نكرة بل لهم أصل وتاريخ معروف لكل ذى عقل وبصيرة ؛ فشركة الشريف قد بدأت تدريجياً من مصنع والده الصغير إلى أن أصبحت من أكبر المؤسسات الصناعية فى مصر ، بعد كفاح دام أربعين عاماً ، وهى فخر وشرف لكل مواطن مصرى ، بل ولمصر كلها ، فقد ساهمت مع غيرها من الشركات الوطنية فى جعل مصر فى عداد الدول المصنعة ، وامتلات الأسواق المصرية والعربية بالصناعات التى تحمل شعار « صنع فى مصر » بداية من القلم الجاف وانتهاءً بالأجهزة الكهربائية والإلكترونيات .

وقد كانت تلك المؤسسة الصناعية الضخمة تضم فى حدود عشرة آلاف عامل مصرى يعملون بها ، والنيل من أمثال هذه الشركة يؤدى إلى تشريد هذه الأسر كما نشر فى الأهرام ، والأهم من ذلك أن تلك المؤسسة هى الوحيدة من هذه الشركات التى كانت تمتلك مركزاً للأبحاث العلمية لمواكبة آخر تطورات التقنية الصناعية على غرار تلك الموجودة فى الدول الصناعية العظمى .

إنه على الرغم من أنه قد نالنا الضرر من الإجراءات التي اتخذت ضد هذه الشركات فلا يؤدي هذا إلى أن نفترى عليهم أو أن نلصق بهم التهم والباطيل بأي حال من الأحوال .

إنها حملة تشنها وسائل الإعلام الحديثة ضد الإسلام لتشويه صورة الإسلام وأهله ، لقد ولى الزمان الذى كان فيه بناء الأسوار والقلاع والحصون يحول دون وصول ما لا نريد من المذاهب والأفكار والمبادئ ، واختفى الاستعمار فى صورته القديمة .

وبدأت حرب من نوع جديد - حرب المعلومات والإعلام - حرب المبادئ والعقائد والمذاهب المعاصرة والتي قد اتخذت من وسائل الإعلام الفتاكة والمتنوعة أداة لها ، وأصبحت وسائل الإعلام - مقروءة أو مسموعة أو مكتوبة أو مرئية - تقتحم على الإنسان بيته وتلاحقه وتطارده إلى أن يخلد للنوم . لذا كان لزاما علينا التصدى لتلك الأفكار الهدامة وتلك الحملات التي تقلب الحق باطلاً والباطل حقاً .

إنه من دواعى الأسى والأسف أن يصرف التاريخ المصرى فيما يتعلق بحرب الفدائيين ضد الإنجليز ، مع أن قادة هذه المعركة مازال منهم أحياء وقد اعترضوا على المؤلف والكاتب أسامة أنور عكاشة الذى حرف تاريخ هذه المعارك .

ففى مسلسل ليالى الحلمية أعطى للشيوعيين دوراً كبيراً فى هذه المعركة مع أنهم كانوا يهتفون إلى فيتنام بدلاً من القناة حيث يحارب الشيوعيون ؛ لقد سجل الأستاذ كامل الشريف هذه المعارك فى كتابه « قتال الفدائيين فى القنال » ، كما سجلها أيضاً الأستاذ حسن دوح فى كتابه « كفاح الشباب الجامعى على القناة » والصادر عن دار القلم فى

الكويت سنة ١٩٧٣م والذي أنقل عنه فى صفحة (٢٥) أن الحركة الشيوعية تواجدت فى مصر بزعامة الصهيونى هنرى كوريل وكانوا ييخلون بأنفسهم من أن تراق دماؤهم فى هذه المعركة؛ لأنها لا تخدم المد الشيوعى .

وفى صفحة (٢٧) كتب أن الإخوان المسلمين الذين حاربوا فى فلسطين عام ١٩٤٨م قد أشرفوا على تدريب الطلبة فى الجامعة للعمل الفدائى فى قناة السويس وكان منهم السادة كامل الشريف وعلى صديق وعبد الرحمن السنبان وحسن عبد الغنى وعبد العزيز على ومؤلف الكتاب ، وأما جامعة إبراهيم (عين شمس حاليا) فيتولى التدريب بها محمد مهدى عاكف ووائل شاهين وحسن عبد الغنى ، وكتب أن الإخوان المسلمين كانوا أصحاب الدور الأكبر فى الحرب ضد الإنجليز ، ثم ذكر الدور المشرف للبوليس المصرى وكذلك الضباط الأحرار الذين شاركوا فى التدريب ؛ منهم كمال الدين حسين ومجدى حسنين وصلاح هدايت الذى اشترك مع رجال من الإخوان المسلمين ؛ فمنهم الصاغ صلاح شادى فى نسف سفينة بترول إنجليزية عند كوبرى الفردان ، كما أشاد بالدور الوطنى لرجال الأزهر حيث تقدم وكيل جامعة الأزهر الشيخ عبد الرحمن حسن وأطلق أول رصاصة فى معسكر جامعة الأزهر إعلانا ببدء التدريب للمعركة .

وتضمن هذا الكتاب حواراً للشهداء من الإخوان المسلمين ؛ منهم عمر شاهين وأحمد المنيسى وكتب ما نشرته الصحف المصرية عنهم . لقد أغفل مسلسل « ليالى الحلمية » هذه الحقائق التاريخية كلها ونسب إلى الشيوعيين ما لم يحلموا به وهم بهذا يريدون أن يقلبوا الحقائق ويجعلوا الحق باطلا والباطل حقاً، لكن التاريخ ليس ملكاً لهم ولا حكر عليهم .

نماذج من أقوال نظراء نجيب محفوظ

إن اليساريين الذين يسبحون بحمد المستبدين والطفاة والظالمين قد أسرفوا فى استعراض عضلاتهم للطعن فى الدين أو بعض أحكامه ، مستغلين الحرية الممنوحة للصحافة فى الكويت ، وفيما يلى نماذج من هذه الطعون وردت فى خطاب مفتوح للدكتور عبد الرزاق الشاذلي فقد جاء فيه :

نتوجه بهذا الخطاب إلى لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف ، والأستاذ الشيخ الدكتور/ خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا ، والدكتور / عجيل النشمى عميد كلية الشريعة نلتمس منهم الجواب والاهتمام لأن الموضوع يستحق اهتماماتهم ، وإجاباتهم الواضحة الصريحة وغير المبهمة . . . والسؤال هو : ما حكم الشرع فى هذه الأقوال ؟

١ - يقول أحدهم شاتما الرب : الحمد لله ألف مرة على أن الله سبحانه فنان كلاسيكى لا علاقة له بـ « الفن الحديث » لا رسما ولا شعرا ولا نغما . . . وعلى هذا فقد أودع هؤلاء الحسان عبقرية السرمدية فى الرسم والشعر والنغم وما فى هذه الفنون من موازين وإيقاعات ، والحمد لله مرة ثانية على أن الطبيعة الحكيمة العظيمة هى أيضاً أصولية ، سرمدية النواميس ، فما كان أقبح الدنيا لو أن الطبيعة فعلت ما يفعله جماعة « الشعر » الحديث و « الرسم » الحديث و « الغناء » الحديث ، وتبنت أسلوب هؤلاء القوم « وتطورت » على طريقتهم فى فهم التطور فخرجت على نوايسها الثابتة ، وجعلت الشجرة عند الصبح شيئا شبيهاً بالبقرة ، وعند المساء شيئا كأنه الحشرة . .

« الوطن » ٤ / ٥ / ١٩٩٤ م .

٢ - يقول أحدهم مستهزئاً بالقرآن الكريم : « نون .. والقلم وما
يسطرون .. إنك فى حيرة مما يدعون .. دعهم يقولون ما يقولون ..
واحذرهم فهذا زمن ملعون .. لا يعرف من القاتل والمقتول .. والطاعن
والمطعون .. هذا زمن الجنس الثالث .. والعقل المجنون ! .. فتحسس
عينيك فما يدريك بعد ماذا سوف يكون ؟ بعد ماذا سوف يكون ؟ ! » .

« الوطن » ٤ / ٤ / ١٩٨٧ م .

٣ - يقول أحدهم مستهزئاً بالجنة : « رأيت لثياً يسير مع ظبى ولا
يأكله ، ورأيت أفعى تداعب أرنباً ولا تبتلعه ، ورأيت ذئباً يلعب طلياً
ولا يلتهمه .. » .

« صوت الكويت » ١ / ٤ / ١٩٩١ م .

٤ - يقول أحدهم ساخراً بالغيبيات (عذاب القبر) : « .. وإذا بى
أشاهد شيئاً عظيماً كان له مائة رأس وألف ذراع .. وألف ألف عين
ولسان ، سألت من أنت ؟ فقال بصوت جهورى هزنى هزاً : أنا عذاب
القبر » .

« صوت الكويت » ١ / ٤ / ١٩٩١ م .

٥ - يقول أحدهم ساخراً بمنكر ونكير :

« قلت للملك : وماذا تريد ؟ ألا يكفينى عذاب من التشرذ فى
الصحارى فى الهروب من الكويت ، والإعاشة والشقق المفروشة
والعراقيين .. » .

« صوت الكويت » ١ / ٤ / ١٩٩١ م .

٦ - ويقول أيضاً :

« فمن الثابت شرعا أن ملكى القبر يسألان الميت : من ربك ؟ ما دينك ؟ وما نبيك ؟ وإذا بالكاتب يجعل سؤال الملكين : « ما جنسيتك » فيجيبه : « أنا كويتي » ثم يصف مشهداً « وما أن حملها - حتى الأخير - حتى خر على ركبتيه متوسلاً وهو يقول : الله يخليك أبى فيزا خدامة » .

« صوت الكويت » ١ / ٤ / ١٩٩١ م .

٧ - ويقول آخر :

« تبعا لذلك أن القرآن يجب أن يخضع لحال البشر وظروفهم » .

« الوطن » ١٩ / ٩ / ١٩٩١ م .

٨ - ويقول أحدهم داعياً إلى فصل الدين عن الدولة :

« إننا ضد أسلمة الدولة .. إننا ضد أسلمة نظام الحكم » .

« القبس » ٧ / ٣ / ١٩٩٣ م .

٩ - ويقول آخر :

« إننى مع رأى القائل بأن مزج الدين بالسياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الثقافة يعرقل التطور كما وكيفا ، ويسبب آلاماً أخرى لها بدون مبرر » .

« الوطن » ١٧ / ١١ / ١٩٨٥ م .

١٠ - يقول أحدهم منتقياً الشريعة ومعتزلاً : « إن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تستوعب ملايين القضايا والمشاكل الإنسانية المعقدة ،

أو أن تقدم حلولاً جاهزة لكل ما يستجد على مسرح الحياة » .

« الوطن » ١٢ / ٣ / ١٩٨٤ م .

١١ - ويقول آخر :

« كيف يحترم الإسلام حقوق الإنسان وقد منع المرأة الزواج من غير المسلم » .

١٢ - ويقول آخر :

« ما يقدم أعضاؤه « الإسلاميون » من اقتراحات ، وأفكار ستكون نتيجتها سيئة على المجتمع ، وعودة بنا إلى عصور الظلام . . وفترات التجهيل ، والتضليل التي مر بها عالمنا الإسلامى » .

« القبس » ١٣ / ٣ / ١٩٩٣ م .

١٣ - ويقول آخر :

« نرى بأن بعض الأطروحات « الحسبة » تعود بنا مئات السنين إلى الوراء وتخرجنا من عالم اليوم » .

« القبس » ١٣ / ٣ / ١٩٩٣ م .

١٤ - ويقول آخر :

« لماذا تتساوى المرأة والرجل فى العقوبة الشرعية ويختلفان فى الميراث » .

« الوطن » ٥ / ٣ / ١٩٨٧ م .

١٥ - ويقول آخر : « شباب هعا منعهم » هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « ومؤيدوهم المخلصون للقضية منهم أو المتسلقون عليها وعلى

الجهل الحضارى » .

« القبس » ١٩ / ٣ / ١٩٩٣ م .

١٦ - يقول أحدهم ساخراً بنقاب الطبية :

« ليس من المحجب أن تكون التى تقوم بأسمى مهمة وأنبل وظيفة
بهذه الدرجة من التخلف » .

« الوطن » ١ / ١٢ / ١٩٩١ م .

١٧ - ويقول آخر :

« القفز على أسوار الماضى والالتحاف برداء الأسى من كل جديد؛
لأنه يعنى الخوف والضياح بل الموت »

« الوطن » ٣٠ / ١١ / ١٩٩١ م .

١٨ - ويقول آخر :

« فلقد شاهدت فى الأسبوع الماضى وحشا يقود سيارته الأمريكية ..
هذا انطباعى الأول حين شاهدتها ، لكن بزيادة التمحيص والتدقيق تبين
أنها سيدة ترتدى .. نقاباً » .

« صوت الكويت » ١٩ / ١١ / ١٩٩١ م .

١٩ - يقول أحدهم مستهزئاً باللحية :

« واحد لحيته مثل التيس يقول لى : لماذا تتكلم عن رجال الدين ..
كل ما أستطيع أن أعلق عليه أنه بالنسبة لشعر رأسه ولحيته أن عنده كثافة
فى الإنتاج وسوءاً فى التوزيع » .

فهل نأمل من لجنة الفتوى والشيخين الفاضلين بيان رأى الشرع فى

هذه الأقوال قبل أن ينسى الكويتيون أصحاب تلك الأقوال ويعتبروها
« آراء شخصية » لبعض الكتاب « المنفلتين » من الذين استولوا على
الأعمدة والزوايا .

وفيما يلي بعض أقوال فرج فودة التى نشرها فى مجلة أكتوبر
المصرية، وقد وردت فى مقال للأستاذ الدكتور عبد الرزاق الشاذلى نشره
فى صحيفة الوطن الكويتية يوم ٢٠ / ٧ / ١٩٩٣م تحت العنوان التالى :

العلماني فرج فودة والأفكار السوداء

دأب العلمانيون - سواء عندنا في الكويت أو في بقية بلاد العالم العربي الإسلامي - على الهجوم على الإسلام ، عقيدة وشريعة بغية صرف أبناء الأمة عن دينهم الحق عن طريق الطعن بالدين والنيل من العلماء والاستهزاء بالدعاة ولز التشريع الإلهي ، وتكمن الخطورة في أن هذا الهجوم السافر يأتي من أناس يتسمون بأسمائنا ويتكلمون بألسنتنا ، وللأسف إن شهادات ميلادهم مكتوب فيها (الديانة : مسلم) .

ومن رؤوس العلمانيين في عصرنا الراهن المدعو فرج فودة الذي نذر نفسه وفكره وحياته كلها لتشويه صورة الإسلام، ومحاربة شعائر خير الأنام وإعلان رفضه المتكرر لمنع تطبيق شريعة رب الأرباب وإقامة دولة دينية تحكم بشريعة رب البريات .

كل ذلك تحت شعار حرية الفكر والتعبير ، ولا أدري هل حرية الفكر تعني الطعن بالإسلام ؟ وهل من حرية التفكير الاستهزاء بكتاب ربنا وسنة نبينا ؟ وهل من لوازم التفكير السخرية من الصحابة الكرام ؟ وهل من متطلبات التعبير محاربة كل ما يُشتم منه رائحة الإسلام ؟ وهل ... ؟ وهل ... ؟

سؤال يبحث عن جواب : نعم ، هناك سؤال يطرح نفسه على أذهان المتابعين للأحداث الأخيرة المتعلقة بقضية مقتل العلماني فرج فودة ، ويبحث هذا السؤال عن جواب : لماذا أفتى العلماء بردة الكاتب العلماني فرج فودة ؟ وما هي الآراء التي كان يتبناها ؟ والأفكار التي حاول أن

بيئها؟ والسموم التي كان ينفثها عبر مقالاته وندواته ومؤلفاته ؟

وللإجابة على هذا السؤال كان هذا المقال الذي حاولنا من خلاله أن نوضح للقارئ آراء العلماني فودة في قضايا الإسلام الأساسية التي من أنكر واحدة منها كان مرتدا عن الدين الإسلامي بلا خلاف بين أهل العلم ، ولعل في ذكر طائفة من آراء العلماني فودة رادع لبعض كتابنا الذين بروا أقلامهم دفاعا عن فودة وأضرابه :

أولا : اعتباره حكم الله حكما جاهليا :

يقول العلماني فودة في هذا الصدد : « ... الدولة الدينية سوف تقود للحكم بالحق الإلهي ، وهو حكم جاهل ، وكثيرا ما أدى لمظالم ومفاسد يقشعر منها البدن ، وسوف تؤدي إلى نفس الشيء في العصر الحالي » .

ثانيا : تفضيله القانون الوضعي على التشريع الإلهي :

يقول مفضلا القانون الوضعي على التشريع الإلهي في تحقيق صلاح المجتمع : « أنا أرى أن حجم الانحلال الموجود في المجتمع المصري أقل بكثير اليوم على مدى التاريخ الإسلامي كله ، وأرى أن القانون الوضعي يحقق صالح المجتمع في قضايا الزنا مثلا أكثر مما ستحققه الشريعة لو طبقت ! » (حوار حول قضايا إسلامية ص ١٧٧ ، ١٧٨) .

ثالثا : استهزاؤه بالقرآن الكريم :

يقول العلماني فودة في مقاله : « من يفتي معنا بحرمة هذا البلد ، من يحترم معنا والدا وما ولد ، من يدرك معنا أن الإنسان خلق من كبد ، أيحسب هؤلاء أن كرامة الإنسان قد ضاعت سدى ، أيحسب هؤلاء أن لن

يقدر عليهم أحد » (مجلة أكتوبر المصرية) .

رابعا : استهزاؤه بالأحاديث النبوية :

يقول العلماني فودة ساخرا من الحجاب ومن حديث رسول الله ﷺ : « ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » ، ثم يقول : ربما كان هذا في العصر الأول حيث لا مشاغل بحيث تدفع المرأة إلى التفكير في الجنس ولا أكثر ولا أقل ، أما الآن فنحن نخرج مع المرأة ولا نجد بيننا شيطانا ولا خلافة .

خامسا : رده للسنة النبوية :

يرفض العلماني فودة حديث النبي ﷺ : « الأئمة من قریش » بحجة أنهم حكموا أطول مما ينبغي ، ويقول العلماني فودة في مقاله : (اللهم لا حسد) والمنشور في مجلة أكتوبر المصرية : « ... اكتشفنا فجأة أن فخذ اللاعب عورة وفتنة ... » .

سادسا : موقفه من الصحابة :

لم يراع العلماني فودة منزلة الصحابة عند الكلام عليهم فمن سب ، إلى اتهام بالسرقة ، إلى رميهم بالجهل ، إلى إصباغ الظلم عليهم ، إلى دعوى أن بعض الصحابة كان يطلب ممن تعجبه من النساء الاستمتاع بها لأيام معدودات نظير إعطائها مقابل ذلك مبلغا من المال . ناهيك عن هجومه على الصديق وذی النورين وعلى وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة الذين اتهمهم في ذمهم وشرفهم .

فها هو يوجه كلاما لا يليق بحق الصديق حيث اتهمه بمخالفة الإسلام حين حارب مانعي الزكاة ، واعتبره فتح الباب على مصراعيه لقتال

المسلمين للمسلمين ، فانظر كيف يتعاطف مع المرتدين ويزدري الصديق .
أما عثمان بن عفان فيرى العلماني فودة : أن عثمان لم يعدل في حكمه وأنه أقام دولته على ثلاث دعائم لا يقر ولا يتصور أحد أن تكون هي دعائم الإسلام .

١ - خلافة مؤيدة .

٢ - لا مراجعة للحاكم ولا حساب أو عقاب إن أخطأ .

٣ - لا يجوز للرعية أن تنتزع البيعة منه أو تعزله . (الحقيقة الغائبة ص ١٨ ، ١٩) .

وخلاصة رأيه في الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه أنه قاد المسلمين إلى الاختلاف عليه ، ودفع أهل الحل والعقد إلى الإجماع على الخلاص منه إما عزلاً أو قتلاً واهتزرت هيئته .

أما عبد الله بن عباس فيقول العلماني فودة عنه في كتاب (الحقيقة الغائبة ص ٦٠) متطاولاً على الصحابي عبد الله بن عباس وبتهمه بسرقة بيت المال : « هل الاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل حلال على مسلم لكونه عاصر الرسول أو الخلفاء أو الصحابة ، حرام علينا لأننا جئنا في عصر غير العصر وزمان غير الزمان ؟ » .

ثم يقول : « أتذكر أن أحد أعضاء تنظيم الجهاد كان يكحل عينيه وعندما سئل قال : تأسيا بابن عباس ، ولعله لو قرأ ما قرأناه عنه ما تأس به وما اكتحل مثله » .

ولم يسلم من قذارة لسانه على بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم

أجمعين ، لقد أراد العلماني فودة من وراء هذا الهجوم السافر على خيار الصحابة أن يشوه صورتهم في قلوب ناشئة الإسلام .

سابعاً : موقفه من الخلافة الراشدة :

يقول في (الحقيقة الغائبة ص ٢٨) : « لا قاعدة إذن ولا نظام للرقابة والأمر كله موكول لضمير الحاكم إن عدل وزهد كان عمر ، وإن لم يعدل وتمسك بالحقم كان عثمان » .

ثامناً : إباحته الزنا :

يرى العلماني فودة أن شريعة الإسلام قد أباحت الزنا ، ومن العجيب أن يستدل على رأيه هذا بآية من كتاب الله ، حيث يفسر قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور : ٣٣] . أن الإكراه أو الإجبار هو الممنوع ، أما إن تمت عملية الزنا من غير إكراه أو إجبار فلا شيء في ذلك .

تاسعاً : إباحته لصناعة الخمر وبيعها :

يقول في كتابه (النذير) : « الشكل الحالي لعلاقة السلطة بالدين شكل مقبول ، وما أعارضه هو صبغ المجتمع بالصبغة الدينية كما يسعى إليه التيار الديني فهذا مرفوض ، المجتمع الحالي في مصر - مثلاً - له إطار مدني مسموح فيه ببعض المظاهر المخالفة للدين لاعتبار الإطار المدني ، الخمر متاحة في مصر ، ولكن هذا أدى إلى نتيجة وهي أن أقل دولة في العالم تستهلك الخمر هي مصر ، أن يوجد شيخ للأزهر أهلاً وسهلاً ، أما أن يصطبغ المجتمع بالصبغة الدينية فلا » .

عاشرا : نسخه للجهاد :

حاول العلماني فودة أن يتخذ من الدعوة إلى السلام والتي يرفعها حكام العرب قنطرة يعبر من خلالها إلى عقول المسلمين لنسخ خريطة الجهاد ، فها هو يدعو إلى إلغاء مناهج الفتوة من الجامعات ، يقول مستغريا : « لا أفهم إطلاقا كيف تبقى مناهج الفتوة فى الجامعات حتى الآن فى دولة ترفع شعار السلام ، وأنها تمسكت به منذ سنوات طوال ، ثم أنا شخصا ممن لا يفهمون إطلاقا كيف تبقى مناهج الفتوة فى الجامعات حتى الآن فى دولة ترفع شعار أنها أعلنت السلام وتمسكت به منذ سنوات طوال ؟ ! لا أفهم إطلاقا فى ظل مناخ السلام أن تنشأ مدارس عسكرية» .

أحد عشر : عقيدة الولاء والبراء :

لا غرو أن ينسف العلماني فودة عقيدة الولاء والبراء من قاموس الإسلام ضاريا بعرض الحائط الآيات والأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع ، اسمع إليه وهو يقول : « خليق بمثلئ أن يشعر بالأسى والاسف ، حين يرتفع صوت الدعاة معلنا أن الهندي المسلم أقرب إلى المصرى المسلم من القبطى المصرى ، لا والله ، لا يكون ولن يكون ، فالمصرى لدينا ، وأنا أقصد المصريين جميعا ، لا يتميز إلا بحبه لوطنه وولائه لأرضه ، وغير ذلك غرض فى النفوس ، ومرض فى الصدور ، وسوء فى القصد وسواد فى النظرة ، وفساد فى الوطنية ، وإثم وطنى عظيم » .

اثنا عشر : رفضه لتطبيق الشريعة :

أعلن د . فودة فى أكثر من مقام ، وكتب أكثر من مقال يؤكد رفضه لمبدأ التطبيق للشريعة، حيث يقول: « لذلك فأنا أقول : إذا كان عدم تطبيق الشريعة معصية فلتكن معصية نسعد بارتكابها اتقاء لما هو أسوأ وهو الفتنة

الطائفية » ، ويستدل بكلامه هذا على قاعدة ابتدعها ونسبها للإسلام :
« يجوز ارتكاب معصية اتقاء فتنة » ، (حوارات حول الشريعة ص ١١) .

واسمع إليه وهو يصرح بذلك : « ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً أو حتى خطوة خطوة؛ لأننى أرى أن تطبيق الشريعة لا يحمل فى مضمونه إلا مديحاً للدولة الدينية ، من يقبل الدولة الدينية يقبل تطبيق الشريعة ومن يرفض الدولة الدينية يرفض تطبيق الشريعة » (حوارات حول الشريعة ص ١٤ ، ١٥) .

ويقول فى جريدة الأنباء الكويتية : « أرفض تطبيق الشريعة وصوتى عال جداً فى هذا الصدد » .

ثالث عشر : رفضه للدولة الدينية :

ويقول فودة : « أنا شخصياً أرفض تماماً الدولة الدينية أيّاً كان شكلها وبالتحديد فى المجتمع المصرى ، أرفض قيام دولة إسلامية دينية » ، بل إنه يعتبر مجرد الدعوة إلى إقامة دولة دينية ردة حضارية وانتكاسة بكل المقاييس ، يقول : « إن الدعوة لإقامة دولة دينية فى مصر تمثل ردة حضارية شاملة بكل المقاييس » (الطائفية إلى أين ص ٢٠) .

رابع عشر : محاربته للحجاب :

يقول العلمانى فودة محرضاً الدولة على الحجاب : « إن هناك مؤشراً يصعب تجاهله وهو انتشار ظاهرة الحجاب داخل أسر أفراد القوات المسلحة ، وهو أمر ملحوظ فى نوادى هذه القوات ، والحجاب فى حد ذاته لا يمثل خطراً ، لكن الخطر أن يكون مؤشراً لحجاب العقل ... » (النذير ص ٣٨) .

بل إنه يدعى أن زيادة معدل جريمة الاغتصاب لم تظهر إلا عندما
انتشر الحجاب الذى كان وراء السقوط الأخلاقى ، ومن أراد الاستزادة
فعليه مطالعة كتاب د . عبد الغفار عزيز (من قتل فرج فودة) .
لا نملك بعد عرض هذه الآراء وتلك الأفكار إلا أن نسأل المناضلين
والمدافعين عن العلمانى فودة عن حكم الإسلام فيمن :
يرفض رفضا مطلقا كل ما يتصل بشرائع الإسلام ؟
وفيمن يحلل الحرام المجمع عليه كالزنا والربا ؟
وفيمن يحرم الحلال المجمع عليه كالحجاب ؟
وفيمن يبدل شرع الله المجمع عليه ؟
وفيمن يستهزئ بأحاديث النبى ﷺ ؟
وفيمن يدعى أن أداء القرآن كانت بأشخاصها وبعض النبى ؟
وفيمن يسب صحابة رسول الله ﷺ ؟
وفيمن ينكر قدرة شريعة الله وصلاحياتها على الحكم بين الناس ؟

الشريعة المفترى عليها

لقد تحرك وزير الداخلية الفرنسى (بيبرجوكى) فى ربيع ١٩٨٩م وزار القاهرة وتونس والكويت فحذر من أن يكون القانون فى المجتمع الإسلامى ذا مصدر إلهى ؛ لأنه فى هذه الحالة لن تتعاش القيم الإسلامية مع القيم الغربية ، وادعى الوزير الفرنسى فى تصريحاته المنشورة فى جريدة الأهرام يوم ٢ / ٥ / ١٩٨٩م (ص ٧) أن الحكومات العربية ستحتذى فى القانون الإلهى لتتحكم فى الشعوب وتهضم حقوقها .

وفى خلال الفترة من ٢٩ / ٩ / ١٩٩٠م حتى ١ / ١٠ / ١٩٩٠م عقدت جامعة القاهرة ندوة باسم (التطور الديمقراطى فى الوطن العربى) ، وقد تضمنت كلمة السفير الفرنسى بالقاهرة (ألان ديجاميت) أن العالم العربى كان فى ظلام دامس حين كانت فرنسا ترسى قواعد الحرية والإخاء والمساواة التى أرسى دعائمها روسو ومونتسكيو ، واستنكر المستشرق الفرنسى (فرانسو يورجا) فى كلمته أن يكون الله فوق القانون عند المسلمين ؛ لأنهم فى فرنسا يؤمنون بالله ولكن لا يجعلونه فوق القانون .

إن هذا المفهوم الأوربى الخاطئ للتشريع الإلهى ، ترجع جذوره إلى ممارسات رجال الدين فى أوروبا خلال فترة حكمهم ؛ حيث انحرف رجال الدين هناك بمبدأ الحاكمية لله أو الحكم بتشريع الله إلى مفهوم يناهض الدين ، ولكنهم قدموه للشعب من خلال الدين وباسم الدين (١) .

هذا المفهوم هو أن الله هو الذى يختار الحكام ليحكموا بين الناس

(١) مقال لوالدى المستشار سالم البهناوى ، نشر بالمجتمع فى العدد (٩٩٩) .

بأمر الله ، فما يحلونه للناس يحله الله ، وما يحرمونه يحرمه الله ، واستندوا فى ذلك إلى نص فى الإنجيل تضمن أن السيد المسيح قال لبطرس : (كل ما تربطه فى الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله فى الأرض يكون محلولا فى السموات) (إنجيل متى ١٦ : ١٨ - ٢٠).

وبهذا الحق الإلهى المزعوم مارس البابوات - خلال فترة حكمهم - لأوربا كل أنواع القهر والظلم ، وحرموا على الناس ما أحل الله لهم فشنقوا وحرقوا كل من بحث فى الطب أو الهندسة أو الجغرافيا ، ولم يتخذ أوربا من هذه المظالم إلا قيام الثورة الفرنسية ، وقد أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية قرارا يوم ٢ / ١١ / ١٧٨٩م بأن تؤول كل ممتلكات الكنيسة إلى الأمة وقرارا يوم ١٢ / ٧ / ١٧٩٠م بتحريم النشاط السياسى على رجال الدين .

وهكذا كان فصل الدين عن الدولة فى أوربا هو بداية تحرير الشعوب من مظالم الحكم الدينى الذى حقر وقتل وظلم باسم الدين والدين ، منه براء .

الإسلام وتحرير الشعوب :

إن الإسلام هو دين الله الذى أرسل به رسل الله إلى الناس ، هو الذى حمل رسالة الحرية والعدالة إلى الناس ، وفى هذا قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

وعندما انحرف رجال الدين فى أوربا برسالة السيد المسيح نزل القرآن الكريم ليرفع عن البشرية المظالم والأغلال التى ابتدعها رجال الدين باسم

الدين ، وبهذا وصف الله رسوله محمدا ﷺ ، قال الله تعالى عن هذا الرسول وعن رسالته : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الاعراف : ١٥٧] .

لهذا فمزاعم هؤلاء الأوروبيين عن الإسلام ليس لها أساس من الصحة ؛ إذ أن أحد جنود المسلمين قال لرستم قائد الفرس : إن الله ابتعثنا ليخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .
ضمانات الحريات :

لقد انتهت الجمعية الوطنية الفرنسية إلى إصدار دستور ١٧٩١م تضمنت المادة الأولى منه : (السيادة واحدة غير قابلة للتجزئة . . وهي تخص الأمة) .

ونصت المادة الثانية على أن : (الأمة تنبع منها كل السلطات ولا يمكن أن تمارسها إلا بواسطة مفوضين) .

لقد اختارت فرنسا بهذا الدستور الديمقراطية غير المباشرة لتعذر قيام الشعب بالحكم والتشريع إلا عن طريق مفوضين عنه ، هم النواب الذين يختارهم لذلك .

ولكن لم يصدر قانون ينظم الرقابة على السلطة ، بل إن هذا الدستور قد نص على منع القضاء من التدخل في أعمال السلطة التشريعية (مادة ١٢٧) .

ثم صدر دستور ١٩٤٦م لينظم نوعا من الرقابة على شرعية القوانين ودستوريتها، فنص على إنشاء (لجنة دستورية القوانين) فنصت المادة (٩١) على أن تفحص اللجنة دستورية القوانين إذا ما وافقت الجمعية العمومية على ذلك ، كما نص الدستور على أنه إذا لم توافق الجمعية على قرار هذه اللجنة بعدم دستورية القانون يعاد التصويت من الجمعية الوطنية على القانون المعارض عليه ، فإذا لم تقرر الأغلبية عدم دستوريته فلا يحل البرلمان كما لا يلغى القانون ، بل يعدل الدستور حسب نص المادة (٩٣) منه .

ثم كان دستور الجمهورية الخامسة ١٩٥٨م الذى أنشأ المجلس الدستورى للتأكد من مطابقة أى تشريع للدستور قبل إصداره من الجمعية الوطنية ، ومن ثم كفل هذا الدستور حقوق المواطن وحرياته عن طريق المجلس الدستورى ، وعن طريق القضاء الذى تخصص بالفصل فى مدى دستورية القرارات واللوائح التى تصدرها الحكومة وجهاز الإدارة ، وقد توسع مجلس الدولة الفرنسى فى القرار الذى أنشأ المجلس الدستورى للتأكد من مطابقة أى تشريع للدستور قبل إصدار من الجمعية الوطنية .

الضمانات الإسلامية للحقوق والحريات :

إن ضمانات الحقوق والحريات للفرد وللمجموع قد تضمنتها الدساتير ، فإذا كانت هذه الدساتير من وضع الشعوب فإن الحكام يستطيعون وقف هذه الدساتير وتعديلها أو بتفسير هذه الدساتير تفسيراً يكرس حقوق الحاكم وسلطانه ، فعلى سبيل المثال تنص المادة (١٧٤) من الدستور السوفيتى على أن تعديل الدستور يكون بقرار من ثلثى أعضاء مجلس السوفيت ، كما توسعت الحكومات فى الاستثناءات الواردة فى

الدستور لصالح الحاكم ، وقد تمثل ذلك فى قوانين الطوائى وفى أعمال
السيادة .

أما الضمانات الإسلامية فقد تميزت بخصائص أهمها :

أولا : إن الحقوق المقررة للأفراد وللأكثرية والأقليات مصدرها
القرآن الكريم والسنة النبوية ؛ وبالتالي لا يستطيع الحكام ولا الشعوب
إلغائها أو المساس بها لأن ذلك من شأنه إخراج من يفعل ذلك من دين
الله والحكم عليه بالكفر البواح الذى يهدر دمه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الاحزاب : ٣٦] كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة]

ولهذا عندما أراد بعض ولاة الأقاليم فى خلافة عمر بن عبد العزيز
أن ينتقص من حقوق النصارى قال له الخليفة : نحن متبعون ولسنا
مبتدعين ، أى : لا نستطيع المساس بحق ورد فى القرآن والسنة .

ثانيا : إن الحقوق المقررة فى الدساتير الوضعية أكثرها لا يتم تنفيذه
إلا بعد إصدار قانون ثم لائحة لينظمها ، وهذا ما تتحكم فيه الحكومة
بينما الحقوق المقررة فى القرآن والسنة لا يتوقف تنفيذها على صدور قانون
ينظمها .

ثالثا : أنشأ النظام الإسلامى رقابة شعبية قوية تحرسها جماعة من
المسلمين تشكل لهذا الغرض مهمتها التصدى للتجاوزات التى تصدر من
الحكام أو الأفراد وفى هذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿ [التوبة : ٧١] كما روى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بنعقاب من عنده » .

رابعا : رقابة مجلس الشورى الذى أمر النبى ﷺ بتشكيله بالاختيار الحر ، فهذا المجلس يتولى اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله ، فهو من الدعامات الرئيسية فى هذا الشأن ، قال النبى ﷺ للأَنْصار وكانوا سبعين شخصا : « أخرجوا لى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم » (فتح البارى ص ١٧ ، ص ٢٠) .

إن هذا النوع من الرقابة من الضمانات الرئيسية لإلزام الحاكم باحترام الحقوق والحريات حتى فى آخر عهد الخلافة العثمانية ، والذى اشتهر بالشدة قد أمر باعتقال مائة وخمسين من أمناء المخازن بتهمة الإهمال فتوجه المفتى علاء الدين الجمالى إلى ديوان السلطان وقال له فى وجود وزرائه : إن الإسلام لم يخولك حق تعذيب هؤلاء ، فقال السلطان : إن هذا تدخل منك فى الحكم وليس من اختصاص علماء الدين ، قال المفتى : كلا ، إنما نتعرض لأمر دينك ولحقوق الرعية وهذا من عملى ، وظل المفتى يفند أقوال السلطان حتى أعلن العفو عن المعتقلين (١) .

خامسا : الفصل بين السلطات : إن الفصل بين كل من السلطة

(١) مبدأ المشروعية فى النظام الإسلامى : د . عبد الجليل محمد على ، ص ٢٦٣ .

التشريعية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية من الضمانات فى النظام الإسلامى .

وهذا الفصل قد ورد فى قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

فالسطة التشريعية هى الكتاب أو القرآن الكريم والذى أحال على السنة النبوية فى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

والسلطة القضائية رمز إليها بالميزان ، وفيها قال الله تعالى : ﴿ أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) ﴾ [الرحمن] . والسلطة التنفيذية رمز إليها بالحديد ، قال ابن تيمية : الجمع بين الكتاب والحديد هو لتقويم من يخالف التشريع فيقوم بالحديد (١) .

سادسا : الضمانات القضائية : القضاء فى النظام الإسلامى دعامة رئيسية للحفاظ على المشروعية ولأهميته استحدثت العباسيون منصب قاضى القضاة ، وأسند هارون الرشيد هذا المنصب إلى الفقيه أبى يوسف ، ليرأس القضاة ويوجههم ويحاسبهم .

ويوجد نوع آخر من القضاء هو ولاية المظالم ، وهذه كان يتولاها النبى ﷺ ثم تولاها الخلفاء بعده ، وهذه لا تنتظر أن يرفع إليها أحد مظلومه ، بل من سلطتها أن تنظر من تلقاء نفسها لسبب ذكره الفقهاء وهو

(١) السياسة الشرعية : لابن تيمية ، ص ٣ .

أنه قد يخشى المظلوم بأس الظالم فلا يتقدم بطلبه إلى جهة الاختصاص .
وولاية المظالم تختص باستبدال الحكام والمسؤولين ، والحاكم أمامها
وأمام سائر المحاكم يعامل كآحاد الناس وذلك بخلاف الانظمة الغربية .

الحرية الكاذبة

إن من أسباب الانحطاط فى المجتمعات الإسلامية أن تطوعت بعض الأنظمة العربية فى المغرب العربى بتدريس هذه الكتب التى صايرها الأزهر، فضلاً عن إغداق الأموال على أصحابها ، وقد سبقهم فى هذا رؤساء بعض الدول الكبرى عندما أعلنوا استضافتهم وحمايتهم للهندي «سلمان رشدى» ، والبنجالية «تسليمة نسرین» اللذين نبذتهما مجتمعاتهما فيما كتباه طعناً فى الإسلام وفى الرسول ﷺ (١).

وبعد أن أعلنت مجلة روز اليوسف أنها ستنتشر الكتب الممنوعة التى منعها الأزهر ، وبدأت فى نشر رواية «أولاد حارتنا» رغم عدم موافقة صاحبها على النشر احتراماً لقرار الأزهر ، كما نشرت كتاب «الإسلام وأصول الحكم» الممنوع نشره منذ سنة ١٩٢٥ م ، ثم نشرت سلسلة مقالات للمستشار سعيد العشماوى ابتداء من العدد (٣٤٩٥) فى ٥ / ٦ / ١٩٩٥ م بعنوان «الخلافة الإسلامية التى جربناها» كلها طعن فى الخلافة والخلفاء الراشدين ، وقد كشف الأزهر أنها من الأكاذيب والمغالطات فى تقرير عجز العشماوى عن مناقشة ، بل إن جميع ما كتبه لا يزيد عن كونه ترديداً لما ورد فى كتابه هذا الذى صايره الأزهر الشريف من قبل ، ولكنه استحدث أمراً آخر هو الطعن فى بعض الحكام العرب .

ومع ذلك فقد تطوع بعضهم بقرار منه بالامر بتدريس كتب

(١) استضافت حكومة السويد البنجالية تسليمة نسرین ومنحتها الجنسية السويدية مع جائزة عشرين ألف دولار ؛ لطنعها فى الإسلام تحت ستار حرية الرأى ، ونال سلمان رشدى جوائز مماثلة واستقبله رؤساء الدول الغربية لطنعه فى النبى ﷺ ورواجه .

العشماوى فى الجامعة ؛ لهذا لا عجب أن تهزمهم مجتمعين دولة صغيرة مع أنهم يملكون أضعافها شعباً وجنوداً ومعدات حربية ، لهذا نوضح الآتى (١) .

١ - إن كتاب « فى الشعر الجاهلى » لطله حسين قد صادره القضاء ؛ لأنه كَذَّبَ صريح القرآن الكريم ، فيما ذكره من أن ورود إبراهيم وإسماعيل فى القرآن الكريم لا يكفى لإثبات وجودهما فى الجزيرة العربية، وكان أمام طه حسين أن يستأنف هذا الحكم ، ولكنه أعاد طبع الكتاب باسم « الادب الجاهلى » وحذف منه الفصل محل هذه المخالفات.

٢ - لا يمكن التذرع بعدم تخصص الفقهاء فى الشعر أو الأدب أو الاقتصاد لإلغاء دورهم فى بيان ما ورد فى هذه الأمور مخالفاً للنظام العام، ولكن الفقهاء لا عصمة لهم كغيرهم ولهذا يطعن على قرارهم أمام القضاء بدرجاته الثلاث .

٣ - وكما لا يجوز إلغاء ولاية الفقهاء فلا يجوز المطالبة بإلغاء ولاية القضاء ؛ لعدم التخصص فى هذه الأمور ؛ لأن القانون قد عالج ذلك بإحالة مثل هذه الأمور إلى أهل الخبرة لوضع تقرير تستعين به المحكمة ، كما يخول القانون لصاحب المصلحة أن يطعن على حكمها أمام محكمة الاستئناف وأن يطعن على حكم الاستئناف أمام المحكمة العليا.

٤ - إن رواية « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ ليست قصة أدبية لا صلة لها بالاديان والأنبياء والرسل كما يزعم الشيوعيون ؛ لأنها تشبه

(١) من مقال لوالدى الذى نشر فى الوطن بتاريخ ٣١ / ٨ / ١٩٩٧ م .

العالم بحارة صاحبها شخص اسمه الجبلاوى ، وورد بها أنه عجز عن رفع الظلم عن أهل الحارة ، فظهر من أولاده ثلاثة من المصلحين ليقوموا بهذه الرسالة ولكنهم يفشلون ، فيظهر شخص رابع اسمه عرفة فيتولى هذه المهمة ، وسياق الرواية وأحداثها تفصح عن الفكر الشيوعى الذى ينكر وجود الله ويزعم أن الأنبياء كانوا أشخاصاً حاولوا إصلاح المظالم ففشلوا ، وظهر ماركس بشيوعيته التى تسمى الاشتراكية العلمية فتولى هذه الرسالة بعد فشل الأديان الثلاثة ، وقد استعار الكاتب أسماء أبطال هذه الرواية مما ورد فى القرآن الكريم ، فرمز إلى الله تعالى باسم الجبلاوى حيث ورد فى القرآن الكريم أن الله تعالى تجلى لنبيه موسى من جبل طور سيناء ورمز إلى نبي الله موسى باسم جبل ؛ لأنه تلقى رسالته من فوق جبل طور سيناء ، ورمز إلى نبي الله عيسى باسم رفاعه ؛ لأن القرآن الكريم أورد بأن الله رفعه إليه ، ورمز إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ باسم قاسم حيث كان يسمى بأبى القاسم ، ثم رمز إلى ماركس بعرفة كرمز للمعرفة والعلم الذى حل محل الأديان وأخذ دورها ؛ لأن الشيوعية تسمى مذهبها هذا بالاشتراكية العلمية .

وقد كتب جورج طرايشى أن هذا العلم أصبح عند نجيب محفوظ دين العصر الحديث ، كما كتب فيليب إستوارد أنه فى عام ١٩٥٩ م نشر نجيب محفوظ قصته أبناء الجبلاوى ليحسم بها الخلافات الفكرية القائمة ليس فى مصر وحدها ، بل فى العالم كله ، فاختار أبطال هذه القصة بأسماء آدم وموسى وعيسى ومحمد وزعم أنهم بعثوا بعد الممات ، وظهر معهم الجبلاوى يمثل فكرة صدقها الناس وأطلقوا عليها اسم الطريق إلى نوبل (معترز شكرى ص ١٤ ، ١٥) .

٥ - إن مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان لا تعنى أن ينشر الإنسان ما يشاء، فالحرية لها حدود فى كل دولة ومجتمع تنظمها القوانين؛ لأنه لا يمكن أن يكون أى مجتمع - غربى أو شرقى - بغير نظام وبغير حدود ، وهذا ما يسمى فى القانون بالنظام العام .

لقد أفلس أدعياء حرية الرأى من العرب الذين طعنوا فى العقائد الإسلامية وفى الأخلاق الإسلامية تحت ستار نقد الفكر الدينى ، وهذا ما اشتملت عليه الكتب السابق ذكرها ، وما اشتملت عليه كتب أخرى نقدت أحكاماً ثابتة فى القرآن الكريم والسنة النبوية بزعم أنها من انحرافات الجماعات الإسلامية ، وأنه فكر بشرى لهم أن يهدموه على رؤوس أصحابه .

ولكن أى منصف ومحيد يطلع على هذه الكتب يجد أن ما يدعيه أصحابها أنه نقد لأراء بعض كتاب الحركة الإسلامية ، هو فى الحقيقة نقد صريح لحكم شرعى ثابت فى القرآن الكريم أو السنة النبوية وليس حكماً ابتدعه أبو الأعلى المودودى أو أبو الحسن الندوى أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو الشيخ عبد العزيز بن باز أو الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، أو الشيخ حسن البنا ، أو الأستاذ سيد قطب أو الأستاذ تقى الدين النبهانى .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم المستشار سالم البهناوى	٥
أولا : التشكيك فى الدين فى روايات نجيب محفوظ	
الأباطيل فى سكرية نجيب محفوظ	١١
حارة نجيب محفوظ والتطرف المرفوض	١٦
رواية الطريق والتشكيك فى وجود الله	٢٢
حب تحت المطر	٢٣
حكايات حارتنا	٢٥
أ - الحكاية (٦٩)	٢٥
ب - الحكاية (٧٠)	٢٦
ج - الحكاية (٧٣)	٢٧
د - حب تحت المطر وإباحة الجنس	٢٨
هـ - الحكاية (٧٣ ب)	٢٨
و - الحكاية (٧٨)	٣٠
ز - الحكاية (٤٦)	٣٠
ح - الحكاية (٤٤)	٣١
ط - الحكاية (٦٨)	٣٢
ثانيا : التشكيك فى الدين فى روايات نظراء نجيب محفوظ	
التشكيك فى الدين فى أدب يوسف إدريس	٣٧

٤٣	مغالطات أسامة أنور عكاشة
٤٩	نماذج من أقوال نظراء نجيب محفوظ
٥٥	العلماني فرج فودة والأفكار السوداء
٥٦	أولاً : اعتباره حكم الله حكماً جاهلياً
٥٦	ثانياً : تفضيله القانون الوضعي على التشريع الإلهي
٥٦	ثالثاً : استهزاؤه بالقرآن الكريم
٥٧	رابعاً : استهزاؤه بالأحاديث النبوية
٥٧	خامساً : رده للسنة النبوية
٥٧	سادساً : موقفه من الصحابة
٥٩	سابعاً : موقفه من الخلافة الراشدة
٥٩	ثامناً : إباحته الزنا
٥٩	تاسعاً : إباحته لصناعه الخمر وبيعها
٦٠	عاشراً : نسخه للجهاد
٦٠	أحد عشر : عقيدة الولاء والبراء
٦٠	اثنا عشر : رفضه لتطبيق الشريعة
٦١	ثالث عشر : رفضه للدولة الدينية
٦١	رابع عشر : محاربته للحجاب
٦٣	الشريعة المفترى عليها
٦٤	الإسلام وتحرير الشعوب
٦٥	ضمانات الحريات
٦٦	الضمانات الإسلامية للحقوق والحريات
٧١	الحرية الكاذبة
٧٥	فهرس الموضوعات



الكاتبة فى سطور

* إيمان سالم البهنساوى - كاتبة متخصصة فى أدب الطفل من محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية (وقد ولدت فى ٢١ / ٢ / ١٩٦٥ م ، وتوفيت فى ٢٧ / ١٢ / ١٩٩٧ م - ٢٧ شعبان ١٤١٨ هـ) ولها ثلاثة أولاد .

* أقامت فى الكويت مع أسرتها وتلقت تعليمها فيها حتى تخرجت فى جامعة الكويت فى عام ١٩٨٧ م / ١٩٨٨ م بتقدير جيد جداً - ليسانس آداب - لغة إنجليزية .

خبراتها فى مجال الكتابة للطفل متعددة حيث كتبت فى عدة مجلات مثل (براعم الإيمان - سدره - سعد - جندى المستقبل) .
* عملت محررة فى مجلة سعد الكويتية للأطفال منذ عام ١٩٩٤م حتى وفاتها .

قامت بتأليف عدة مسرحيات وقصص للأطفال .

* من مؤلفاتها :

١ - زينة الطماعة (مسرحية) .

٢ - رامبو القوى (قصة) .

٣ - الأسد المخادع (قصة) .

٤ - يوم العيد (قصة) .

٥ - أبو الحلول يحل مشكلتى (كتاب) .

- ٦ - غطاوى شعبية .
- ٧ - حكاية فلفول (قصة) .
- ٨ - بالإضافة إلى العديد من القصص غير المطبوعة .

رقم الإيداع: ١٠٦٩٧ / ٢٠٠٣ م

I . S . B . N : 977 - 15 - 0426 - 6